

لماذا لا يُجرى حديث صريح حول العلاقة بين الطوائف المختلفة في بلاد الشام: سنية وعلوية ومسيحية وشيعية ودرزية وإسماعيلية وغيرها؟ وإلى متى ستبقى جدران التاريخ الصماء تفصل بينها بالأوهام؟ هل كانت هناك جهات تزيد الشقاق بين مختلف الطوائف؟ وهل وقف الفكر الإسلامي عاجزاً أمام المسألة الطائفية في سورية؟ أم كانت له ريادة متميزة ينبغي أن تدرس ويستفاد منها؟

البحث التالي هو جزء من عدة مواضيع قام الباحث بإعدادها، ونال عليها شهادة الدبلوم في العلوم السياسية والعلاقات الدولية من الأكاديمية السورية للتدريب والتطوير.

نشر البحث في موقع الأكاديمية: [www.sia-sy.net](http://www.sia-sy.net) مختصراً، ويعاد نشره هنا كما كان قبل الاختصار.

يأمل الباحث أن يُعالج موضوعه جزءاً من القضية الطائفية في سورية، وأن يبين دور السياسة الدولية في إثارة التزايدات الطائفية، وكيف تعاملت معها مدرسة إسلامية عريقة هي جمعية التمدن الإسلامي، وبطريقة متوازنة وغير مسبوقة.

يحرص الباحث على توضيح عدة أشياء: أولها أن التراحم أو التسامح لا يقصد به أي نوع من الإماعة للمعتقدات والأصول التي يؤمن بها هو أو غيره، بل يعتقد أن الإيمان الحق هو رحمة واسعة وعظيمة للبشر جميعاً، فالاختلاف والتنوع هو نوع من الغنى الإنساني الذي يزيد الحياة حيوية وقوة، وإن الحضارة تتكون من آلاف الألوان، والتمازج الثقافي ليس شيئاً سلبياً... وأنا المسلم مسرور جداً لأن بلادتي سورية هي حصيلة عشرة آلاف سنة من الحضارة، ولها عشرات الألوان الجميلة... إنك ما دمت تعيش في هذا العالم فعليك أن تعلم أن قوة البشر هي في تعددهم، وليس في تطابقهم، فالألوان

---

<sup>1</sup> - من أجمل العبر في الرحمة التي يزرعها الإيمان في النفوس، ما سمعناه من علمائنا عن رجل مؤمن كان يتناول طعامه، فمر به شيخ عجوز قد تجاوز الثمانين، وقال العجوز للمؤمن: هل لي ببعض الطعام ياسيدي، فإني عاجز تماماً ومريض! نظر المؤمن إلى العجوز قائلاً: من أين أنت؟ قال العجوز: من بلاد النار [بلد افتراضي أهله من الكفار]، فقال المؤمن: أرجو أن لا تكون على دينهم الفاسد! قال العجوز بأدب شديد: يؤسفني يا سيدي أن أقول لك: إنني أتبع دين قومي في تلك البلاد! قال المؤمن: إذا تركت دينك وآمنت فيمكنني إطعامك! ورفض الشيخ العجوز تغيير دينه.

في المساء رأى المؤمن في الرؤيا ملكاً قال له: إن الله ساخط عليك في هذا اليوم! قال المؤمن بدهشة: أستغفر الله! لماذا؟ لقد فعلت الكثير من الصالحات في هذا اليوم بالذات! قال الملك: إنك لم ترض أن تطعم الكافر لقمة واحدة حتى يغير دينه! مع أن الله يطعمه منذ ثمانين عاماً!!

الكثيرة هي التي تعطي هذا العالم جماله الأخاذ، والتعدد من آيات الله العظيمة كما يقول الله في القرآن الكريم: (وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ)<sup>١</sup>....<sup>٢</sup>.

(ولو شاء ربك لجعل الناس أمةً واحدة)<sup>٣</sup>، ولكنه قدر التنوع فيهم، والدنيا دار عمل صالح وتراحم ودعوة إلى الحق بالحكمة والموعظة الحسنة، ولا إكراه في الدين، وفي اليوم الآخر يحكم الله بين العباد فيما كانوا فيه يختلفون.

كما أن الباحث لا يقبل بعض الأفكار التي جانبها النضوج، والتي تأتي نتیحتها تأتي عكس المقصود، عبر إماعة ما يعتقد الناس، ومن خلال تصريحات دعائية عجولة تزيد تعقيد الأمور ولا ترسي شيئاً من التسامح بل تخلق جواً من التوتر والتباعد والحساسيات<sup>٤</sup>، ويعتقد الباحث أن ما يدندن به البعض حول وحدة الأديان إنما هو حيلة لتفتيت الأديان كلها، ولصالح جهات لا دينية تتلاعب بالجميع.

<sup>١</sup> - سورة الروم، ٢٢.

<sup>٢</sup> - من رسالة بعث بها الباحث إلى النائب الهولندي خيرت فيلدرز، بسبب هجومه على الإسلام، وقد نشرتها العديد من المواقع، وانظر للنص العربي: <http://www.darbuna.net/word/?ID=907>، وللنص الهولندي: <http://www.islamwijzer.nl/forums/vbnews.php?do=viewarticle&artid=94&title=Open%20brief%20aan%20Wilders>

<sup>٣</sup> - سورة هود، ١١٨.

<sup>٤</sup> - كان أحد المفتين إذا سئل عن الفرق بين الإسلام والمسيحية يقول: الأمر بسيط! نحن نقول مُجَدَّرَة [أكلة شامية قديمة تصنع من البرغل والعدس والزيت]، وهم يقولون: برغل، وعدس، وزيت، قاصداً من ذلك التوحيد [المجدرة]، والتثليث: [برغل، عدس، زيت]، وهذا المنطق غير مقبول عند المسلم وعند المسيحي أيضاً، فالتوحيد عند المسلم أساس دينه وعموده، والتثليث في المسيحية فلسفة دينية عميقة، وكسب العوام بهذه الطريقة لا يأتي بنتيجة، وهو مرفوض شرعاً وعقلاً.

كما نقل عن صاحب منصب ديني أنه لم يملك نفسه أمام وفد أميركي، وهو يريد أن يظهر له تسامح الإسلام، فقال: لو أن محمداً أمرني بقتل الناس لقلت له: أنت لست نبياً! وهي عجلة في التعبير غير مؤدبة، ولا ينبغي الوقوع فيها، وقد علق العلامة البوطي على أمثال هذا الكلام بأنه تعامل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، كما صرح العلامة القرضاوي في برنامج الشريعة والحياة بأن مثل هذا الكلام ليس من الجملة بل النفاق!



إهداء

إلى المبخوسين <sup>و</sup>حقهما <sup>و</sup>حيين <sup>و</sup>وميتين  
العالمين الجليلين والمفكرين الإسلاميين الأصيلين  
أحمد مظهر العظمة و محمد بن كمال الخطيب الحسيني  
وإلى رجال جمعية التمدن الإسلامي في كل زمان وأرض  
أقدم عملي المتواضع

## دور السياسة الدولية في إثارة النعرات الطائفية والوعي الإسلامي تجاهها (جمعية التمدن الإسلامي نموذجاً) كتبه : أحمد معاذ الخطيب الحسني

في أكثر بقاع العالم يمكن أن يشاهد بوضوح أثر السياسة الدولية في تحريك الترعات الطائفية، ولعل منها تصريح الرئيس الأميركي السابق جيمي كارتر، قبل مدة، والذي حذر فيه من أنه في حال فشلت أو انهارت الانتخابات السودانية واتفق السلام، فمن شأن ذلك إشعال حرب أهلية وأخرى دينية إقليمية<sup>1</sup>. إنها رسالة واضحة لا لإطفاء الحريق الذي يأكل جنوب السودان وغربها في دارفور، بل هئية نفسية لإشعال النار، وتحقيق مخططات تمزيق السودان.

كما دهش المجتمع الدولي حقيقة للبعد الطائفي الذي تحرك من خلاله الرئيس الأميركي السابق جورج بوش الابن، بكلامه عن حرب صليبية جديدة! ثم بتصريحه: "إن الولايات المتحدة مدعوة إلى إيصال هدية الحرية التي منحها الرب لكل إنسان على وجه المعمورة"<sup>2</sup>.

إن المتتبع لدور السياسة الدولية في إثارة النعرات الطائفية، سيفهم جيداً لماذا كانت "باكورة أعمال الجنرال غورو إحداث دولة لبنان الكبير ثم تأسيس دولة العلويين، بموجب قرارات بتاريخ ٣١ آب ١٩٢٠، ثم تلا ذلك إقامة دولة دمشق فدولة حلب وتبعها إقامة الدولة الدرزي بتاريخ

<sup>1</sup> - انظر بتاريخ الاحد، 11 أبريل/ نيسان، 2010، GMT22:21 موقع:

[http://www.bbc.co.uk/arabic/middleeast/2010/04/100411\\_sudan\\_elex\\_carter\\_tc2.shtml](http://www.bbc.co.uk/arabic/middleeast/2010/04/100411_sudan_elex_carter_tc2.shtml)

<sup>2</sup> - انظر مجلة نيوزويك الأمريكية (2003/3/11) عدد بعنوان "بوش والرب". وراجع للموضوع مقالة معتر

الخطيب المنشورة في إسلام أون لاين:

[http://www.islamonline.net/servlet/Satellite?c=ArticleA\\_C&cid=1173695208143&pagename=Zone-Arabic-Daawa%2FDWALayout](http://www.islamonline.net/servlet/Satellite?c=ArticleA_C&cid=1173695208143&pagename=Zone-Arabic-Daawa%2FDWALayout)

٤ آذار ١٩٢١<sup>١</sup>. بل إنه لن يدهش عندما يعلم أن السياسة الدولية للفرنسيين قد "طرحت فكرة اغتيال أحد عملاء الفرنسيين في سورية، لإجبار فرنسا على التدخل"<sup>٢</sup>.

هذا البحث الموجز ، سيظهر دور السياسة الدولية في إثارة النعرات الطائفية، والوعي الإسلامي تجاهها، من خلال أداء جمعية التمدن الإسلامي، إحدى المنارات الإسلامية الرائدة في بلاد الشام.

**مشكلة البحث:** الطائفية هي إحدى العقد الحقيقية في مجتمعاتنا، ولا يعتقد الباحث أن بإمكان السياسيين وقادة الرأي وعلماء الدين والموجهين الروحيين، أن يغيروا شيئاً من أحوال مجتمعاتهم البائسة تغييراً حقيقياً، ما لم يكن هناك فكر قوي ينطلقون منه، فهل هناك محاولة ما، لم تتم الاستفادة منها؟ هذا ما سيحاول الباحث لفت الأنظار إليه، لا من خلال شيء يخترعه، بل من خلال تجربة إسلامية عريقة، استفاد منها، ويحاول أن يتابع الطريق من خلالها.

**أهمية البحث:** لأن سورية هي سيفساء العالم وإحدى لوحاته الأجمل، فإن المصالح تتصارع حولها، ومن أخطرها مصالح السياسة الدولية التي تجد في الغرائز الطائفية وأوقات الغفلات فرصة للاقتحام، لذا فإن أي مشروع يهدف إلى التوحيد، ويتجاوز إشكاليات التاريخ، هو مشروع ضروري، سيحاول البحث عرضه، من أجل وطن حر ومنيع.

**أهداف البحث:** يهدف البحث إلى توضيح التسامح، بل التراحم الطائفي الذي عاشته بلاد الشام، من خلال قلبها دمشق، وخلال عصور مديدة، والتركيز على التلاحم والتعامل الإنساني بين الطوائف المختلفة، والذي جنبها الصراع الطائفي، كما يهدف إلى بيان دور المصالح السياسية الدولية في استثمار الغرائز الطائفية، ودور الوعي الإسلامي في عدم السماح بذلك، من خلال فكر

<sup>١</sup> - نزار كيالي، دراسة في تاريخ سورية السياسي المعاصر (١٩٢٠-١٩٥٠)، دمشق، دار طلاس، ١٩٩٧. ٤٧-٤٩، باختصار.

<sup>٢</sup> - من تقرير وزير فرنسا في القاهرة بتاريخ ١٦ تشرين الثاني ١٩١٢. وانظر :

- وجيه الكوثري، بلاد الشام في مطلع القرن العشرين (قراءة في الوثائق)، معهد الإنماء العربي، طرابلس الغرب، ١٩٨٠، ١٧٥.

إسلامي نقى، خط درباً مميّزاً غير مسبوق، في لم شمل الأمة والسمو بها عن كيد السياسات العالمية، ونأى بها عن الضياع في متاهات التاريخ.

**فروض البحث:** خلال عشرات السنين تم استعمال أدوات مختلفة من كافة الأطراف، لتجاوز العوائق الطائفية، بعضها اعتمد على السلطة السياسية والقمع، والآخر على المواجهة المسلحة، وربما استعمل الجميع الحقن الطائفي، أو استدعوا التاريخ ودخلوا في سراديبه المظلمة! فهل كان حقاً ذلك هو الطريق؟ وإذا لم يكن فما هو الصواب؟ وهل هناك تجربة ما قدمت نموذجاً تمكن الاستفادة منه؟ هذا ما سيناقشه هذا البحث المختصر.

**منهج البحث:** اعتمد الباحث في المقام الأول على المنهج التاريخي، ثم الوصفي، ولكن ذلك كله محاط بالمنهج التحريبي الذي تم فيه وخلال أكثر من ربع قرن، مراقبة نضج الأفكار المطروحة وتوازنها واختبارها من خلال تجارب مختلفة شخصية أو جماعية، وقد حققت نتائج مميزة وفعالة.

**أدوات البحث:** لقد كانت المراجع الرئيسة المتوفرة بين يدي الباحث من مصادر تاريخية، ووثائق، ومجلات هي أدواته الأساسية، إضافة إلى محاضر جلسات ووقائع تمت الإشارة إليها، وساعد الباحث في الأمر أنه قضى قريباً من عشرين عاماً في مجلس إدارة جمعية التمدن الإسلامي، كانت تسع سنوات منها في رئاستها، ومعايشة أفكار رجالها الذين أشادوا فكراً إسلامياً موضوعياً ومتوازناً يلم الجميع.

**الدراسات السابقة:** ضمن حدود معرفة الباحث فإنه لم يتناول هذا الموضوع بوضوح من قبل، ولذلك فللبحث ريادة على مستويين: الصراحة في تناول بعض المواضيع الطائفية الحساسة من وجهة نظر إسلامية، وبما يتعلق بالحالة السورية، والمستوى الآخر هو إخراج تاريخ مدفون وعمل فكري متقدم قامت به جمعية التمدن الإسلامي ولا تزال، في إيجاد مظلة جامعة لكل طوائف الأمة.

يؤكد الباحث أنه لا يقدم فكراً من إبداعه، بمقدار ما يبرز مدرسة عريقة لم تأخذ حقها من الاعتراف والريادة، وهو يقرر حقائق تاريخية، ولا يقوم باسترضاءات أو مواجهات سياسية مع أي طرف، ويحاول أن يلتزم العدل والموضوعية ما استطاع.

**الصعوبات التي صادفت البحث:** لم يكن هناك سوى صعوبة واحدة، وهي اتساع الموضوع اتساعاً لم يخطر ببال الباحث من قبل، ووجود أفكار رائدة وأنواع من السلوك الاجتماعي المميز، الذي

يحتاج إلى مزيد من الجهد لإخراجه، وبالتأكيد فإن مكر السياسة الدولية هو بدوره أكبر من أن يحيط به بحث متواضع مثل هذا.

### تعريف بجمعية التمدن الإسلامي<sup>١</sup>:

جمعية التمدن الإسلامي، من أقدم الجمعيات الأهلية في سورية، تأسست عام ١٩٣٢، على يد مجموعة من العلماء والقادة الإصلاحيين، وفكرتها الأساسية قامت على أن الاستعمار يأتي ومعه فكر وفن وثقافة ومدارس وتعليم، ومقاومته بالسلاح لا تكفي، فلا بد من مقابل لكل ما يطرحه، فكان هدف الجمعية الرئيس: "تبيان الإسلام تبياناً صحيحاً شاملاً في كل مناحي دعوته وثقافته ومكارمه وعدالته وحضارته، والعمل على تحقيق ذلك"<sup>٢</sup>، ويقول عبد الكريم اليافي: "لقد تبلور جزء من المشاعر الدينية في سورية أول الأمر في جمعية التمدن الإسلامي التي تأسست عام ١٩٣٢ وعكفت على إصدار مجلتها الشهرية ومنشوراتها المتعددة والقيام ببعض المحاضرات العامة ولكنها كلها تدور حول الإسلام والحياة الاجتماعية"<sup>٣</sup>، وقد استمر صدور مجلة الجمعية مدة تسعة وأربعين عاماً! قبل أن تجبر على التوقف، وقد ضمت الجمعية كبار رجال العلم والفكر<sup>٤</sup>، وتميزت بفكرها، وبالعلمية، وابتعدت عن الصراع السياسي، كما رفضت العنف كمبدأ في العمل، ولم تقع

---

<sup>١</sup> - ما تزال جمعية التمدن الإسلامي ممنوعة من إصدار مجلتها الشهرية، كما تمنع من إقامة أي برنامج ثقافي، وأجبرت أواخر عام ٢٠٠٨ على تغيير مجلس إدارتها على نحو غير قانوني!

<sup>٢</sup> - نظام جمعية التمدن الإسلامي، شهر برقم ٤٩٠ وبتاريخ ٨ حزيران ١٩٦٠.

<sup>٣</sup> - عبد الكريم اليافي، الدين والإحياء الروحي في الوطن العربي اليوم، دمشق، منشورات وزارة الثقافة، ٢٠٠٤، ١٦.

<sup>٤</sup> - منهم السادة: حسن الشطي، رشيد بقدونس، محمد جميل الخاني، سعيد الأفغاني، مصطفى الزرقا، محمد بهجة البيطار، أحمد مظهر العظمة، عبد الفتاح الإمام، محمد أحمد دهمان، عارف التوام، محمد سعيد الباني، عز الدين علم الدين التنوخي، أحمد حمدي الخياط، صلاح الدين المنجد، عزة الطرابلسي، محمد بن كمال الخطيب...

في متاهة العمل السري، وما تزال حتى اليوم (رغم منعها من أي نشاط ثقافي)، تقوم بدور رائد في مساعدة الفقراء وعلاج آلاف المرضى كل عام<sup>1</sup>.



بعض رجالات التمدن الإسلامي أوائل الأربعينات، ويبدو في الصف الأول السادة: رشيد بقدونس، عارف التوام، محمد علي ظبيان، محمد بهجة البيطار، محمد حسن الشطي، محمد أحمد دهمان، خالد الحاني، صدقي الكيلاني، ومن الصف الثاني السادة: أحمد مظهر العظمة، كامل شاشيط، سعيد غنيم، خير الله صبحي الجعفري وآخرون ...

---

<sup>1</sup> - انظر: أحمد معاذ الخطيب الحسيني، رحلة التمدن الإسلامي، بمناسبة مرور خمسة وسبعين عاماً على تأسيس الجمعية، محاضرة بتاريخ دمشق 17 جمادى الأولى 1428هـ الموافق 2 حزيران 2007م، وقد نشرت في موقع دربنا: [www.darbuna.net](http://www.darbuna.net) كما نشرتها بالفرنسية مجلة ashreb-achrek, N 198-Hiver 2008-2009, Paris, 79-89.



## المبحث الأول: السياسة الدولية تمد أصابعها في كل مكان

كثيرة هي الأمور التي لا يمكن فهمها دون الرجوع إلى جذورها العميقة، ولفهم إصرار بعض القوى السياسية الدولية على التدخل في شؤون بلادنا، وآليات تدخلها فلا بد من الغوص قليلاً في التاريخ، حيث يقول ساطع الحصري<sup>١</sup>: "لقد تعود الفرنسيون أن ينظروا إلى الحروب [الصليبية] المذكورة كأثر من آثار أسلافهم العظام، وأن يعتبروا الإمارات اللاتينية التي قامت على بعض الأراضي السورية خلال تلك الحروب جزءاً من أجزاء تاريخهم المجيد، ولذلك كان من الطبيعي أن يتولد في نفوسهم نزوع إلى إتمام عمل تلك الحروب، وإعادة عهود تلك الإمارات.

إن هذا التزوع جعل الإفرنسيين ينصبون أنفسهم حماة للمسيحيين في الشرق، ليتخذوا من هذه الحماية وسيلة للاستيلاء على بلاد الشام في يوم من الأيام، وهذه السياسة حملت فرنسا على الإكثار من الإرساليات، لتأسيس المعاهد الدينية والتعليمية المتنوعة، في مختلف أنحاء الشرق الأدنى بوجه عام والشرق العربي بوجه خاص"<sup>٢</sup>.

حاول منشور الجنرال غورو الذي ألقته الطائرات الفرنسية في مختلف أنحاء سورية قبل يوم ميسلون اللعب على الوتر الطائفي بإفراط، معلناً بأنه لن يستعمل الطائرات لمحاربة الأهالي بشرط واحد: "أن لا يقتل أحد من الفرنسيين أو المسيحيين، وإلا فستقابل تلك الأعمال بمثلها وبمتمتهى القسوة"<sup>٣</sup>، أما في

---

١- ساطع الحصري: مفكر قومي، حلبي الأصل، وقد ولد في اليمن عام ١٨٨٢ لأب أزهرى وقاض شرعي، وتلقى تعليمه في تركيا، وأسس وزارة المعارف في سورية زمن الملك فيصل الأول، ووضع مخططات تعليمية واسعة في سورية والعراق، وأسندت إليه مديرية الآثار ثم رئاسة كلية الحقوق في بغداد، وأنشأ أول معهد للدراسات العربية، وانصرف إلى التأليف، وله أكثر من خمسين مؤلفاً، وقد توفي في بغداد، وانظر لترجمته:

-عبد القادر عياش، معجم المؤلفين السوريين في القرن العشرين، دمشق، دار الفكر، ١٤٠٥هـ/١٢٩٠، ١٩٨٥-١٣١.

٢- ساطع الحصري (أبو خلدون)، يوم ميسلون (صفحة من تاريخ العرب الحديث)، بيروت، مكتبة الكشاف، ط ٢، ١٩٤٨، ٨.

٣- المرجع نفسه، ٣١٨، وقد ترجمه من النص الفرنسي المنشور في مجلة "آسية الفرنسية".

المذكرة المرسلّة بتاريخ ١٤ تموز ١٩٢٠ (من الجنرال غورو إلى الأمير فيصل)<sup>١</sup> فقد كانت الدندنة حول وجود مذابح للمسيحيين في مرجعيون، واعتداءات عليهم في القرعون، وهجوم في وادي القرن على دروز حوران واعتراض على إرجاع كامل بك الأسعد أحد المتسببين في فتن بلاد الشيعة! وضيق من الاحتفال الكبير بالدنادشة المعادين للفرنسيين، وانزعاج من مساعدة الشيخ صالح [العلي] بطل الفوضى والبغضاء للفرنسيين!، مساعدة فعلية ومستمرة في جبال النصيرية!

وليت الأمر وقف عند حماية الأقليات، بل إن إذكاء الروح الطائفية لم يخف على أحد، وقد حاولت فرنسا اللعب بالنار، وهي تدق إسفين التمزيق والطائفية بين مكونات الشعب السوري، ويبيّن حسن الحكيم<sup>٢</sup> أنه قد "أصرت فرنسا على عهد الوزارة الأتاسية في سنة ١٩٢٠ على أن سورية [تضم] شعوباً! تتكلم العربية، ونحن أصررنا على أن سورية [تضم] سوريين فقط، وأتت المعاهدة في سنة ١٩٣٦ فأقرت بوجود لبنانيين وعلويين ودروز وسوريين، ناهيك [هكذا في الأصل] بالاسكندرون، وينفصل بعض هؤلاء انفصالاً تاماً، وبعضهم الآخر تربطهم خيوط أوهى من خيوط العنكبوت!"<sup>٣</sup>.

---

<sup>١</sup> - ساطع الحصري، يوم ميسلون، مرجع سابق، ٢٨٤-٢٩٢، وتاريخ المذكرة هو ١٤ تموز ١٩٢٠. ولاحظ الشفقة الفرنسية على الطوائف المختلفة، وفي الحقيقة فمن تعرضوا للاعتداءات والقتل كانوا ممن ظن الناس أن لهم صلة بفرنسة بغض النظر عن نواياهم، ويأتي في مقدمتهم علاء الدين الدرّوي رئيس الوزراء [السني] وعبد الرحمن اليوسف [السني] في حوران، فيما عرف بحادثة خربة غزال.

<sup>٢</sup> - حسن الحكيم: من كبار الوطنيين، دمشقي ولد عام ١٨٨٦، تعلم في دمشق فاستانبول، وشغل منصب سكرتير حزب الشعب الذي كان يرأسه الدكتور عبد الرحمن الشهبندر، وقد اعتقل من قبل الفرنسيين وحكم بالإعدام، فلجأ إلى فلسطين، ثم عاد إلى سورية وشغل مناصب كثيرة، أهمها رئاسة الوزراء ١٩٤١-١٩٤٢ وخلاها أعلنت فرنسا بتاريخ ٢٧ أيلول ١٩٤١ استقلال سورية، وصار رئيساً للوزراء مرة ثانية أواخر عام ١٩٥١، وقد توفي في دمشق عام ١٩٧٤، وانظر للاستزادة:

- محمد شريف الصواف، موسوعة الأسر الدمشقية، دمشق، بيت الحكمة، ط ٢، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م، ١، ٦٤٥.

<sup>٣</sup> - حسن الحكيم، صفحة من حياة الشهبندر، دم، مطابع الجمعية العلمية الملكية، ١٩٨٠، ١٤٥.

إن المطامع الفرنسية في بلادنا قديماً وحتى اليوم، يجب النظر إليها بمنتهى الجدية والحذر، ويختصره ما عبر عنه أحد مهندسي سياستها بقوله: "إن فرنسا ليست في فرنسا وحدها، بل إن فرنسا في كل مكان امتدت إليه جذورها، في كل مكان قام فيه جيشها بأعمال مجيدة، ورفرف فيه علمها"<sup>١</sup>.

يلاحظ في السياسة الدولية سلوكية لا أخلاقية، تسخر أنبل المعاني في مصالحها، وكمثال على ذلك التضييق العلماني على الإكليروس داخل فرنسا ومصادرة أملاكهم إلا "إن عداوة الإكليروس ليست من المواد التي يسوغ تصديرها إلى خارج البلاد [فرنسة]"<sup>٢</sup>، ولقد سخرت السياسة الدولية كل الوسائل لترسيخ وجودها، بما فيها الإرساليات الدينية، و"إن (دالاديه) وكان أبرز المعارضين في البرلمان الفرنسي لسياسة الحكومة إزاء القضية السورية، لم يسعه إلا الإشادة بأعمال هذه الإرساليات والمدارس، فقال: (إنني لا أنكر جلال العمل الذي تم في سورية، سواء على يد المبشرين المسيحيين أو على يد الرجال العلمانيين)"<sup>٣</sup>.

لذا فإن "اللجوء إلى الماركسية أو القومية بالمفهوم الألماني أو الفرنسي، والعناية بآراء (نيتشه) على سبيل المثال .. لم يعد يستعصي على التفسير؛ لأن تفكيك البنى العقائدية والفكرية للأقليات المذهبية، وحتى الدينية أمر واقع لا محالة في ظل نظام التعليم المدني الفرنسي، وسياسة الابتعاث إلى الغرب"<sup>٤</sup>.

لقد كان إدراك السوريين بمختلف طوائفهم شديداً تجاه السياسات الاستعمارية وبواعثها الحقيقية، وتعليقاً على ما فعله الجنرال غورو عندما قصد قبر صلاح الدين الأيوبي قائلاً: هاقد عدنا يا صلاح الدين؛ قال فارس الخوري لطلابه: لقد أراد غورو "التستر باسم الدين كما فعل من قبله الصليبيون، بغية شق العرب بعضهم عن بعض، وقصد أن ينشر بين المسيحيين أن مجيء فرنسا إنما هو من أجلهم... وما قوض غورو للعرب كيانهم في قوله ما قال، وإنما قوض الثقة بفرنسة لكونها تعمل للتفريق ولتفقد العروبة ذاتها... وليس من شك في أن دفع خطر الاستعمار يتوقف على وعينا لكل ما يدس بيننا، ويعمل على تفرقتنا،

<sup>١</sup> - ساطع الحصري، يوم ميسلون، مرجع سابق، ٣٣٨. والكلمة لأريستيد بريان، بتاريخ ٢٥ حزيران ١٩٢٠، وهو من مهندسي السياسة الفرنسية وقد ألقاها في البرلمان الفرنسي.

<sup>٢</sup> - المرجع نفسه، ٩.

<sup>٣</sup> - المرجع نفسه، ٣٤٥.

<sup>٤</sup> - عدنان محمد زرزور، مصطفى السباعي (الداعية المجاهد والفقير المجدد)، دمشق، دار القلم، ط٢، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م،

قدر ما يتوقف على تجنب كل ما يثير خلافاً، وقدر ما يتوقف على تحسنا بمشاعر بعضنا البعض، وبالمزيد من تفكيرنا بوطننا والعمل لسلامته وتحريره...<sup>١</sup>.

م تستطع السياسة الفرنسية إخفاء دندنتها حول الطائفية، مما استنكره حسن الحكيم: "ولنتذكر أن فرنسا تحينت الفرصة من فتنة الأشوريين في العراق لتقول أن معاهدته ناقصة نقصاً معيماً من حيث حماية الأقليات، فلا بد لها من إدخال هذه الحماية بصورة مضمونة في المعاهدة السورية وذيولها"<sup>٢</sup>، وقد تصدى عبد الرحمن الشهبندر لتلك الأصابع التي تريد تهيج الغرائز الطائفية، فكتب في مجلة الرابطة العربية، القاهرة، تعقيباً على المعاهدة المعقودة سنة ١٩٣٦، مقالة عن حماية الأقليات في سورية، وندد فيها بموقف الصحف الفرنسية "فإن الوحي أتاها من المصادر الرسمية لتحريك النعرة الدينية والتهويل بشأن حقوق الأقليات"<sup>٣</sup>.

المطامع الروسية لم تكن أقل شراهة إذ "كانت السياسة الروسية ترمي إلى اكتساح البلاد العثمانية والوصول إلى القسطنطينية وسواحل البحر المتوسط حسب وصية الإمبراطور بطرس الكبير أشهر قياصرتها وعميدهم بدعوى أن دين الروس جاء من القسطنطينية"<sup>٤</sup> وهكذا فلقد تقاسمت السياسة الدولية الأدوار في بلادنا قبل عدة قرون، حيث أعطت معاهدة: كوتشك كاينارجي عام ١٧٧٤م الروس حق حماية الروم الأرثوذكس، أما أطماع فرنسا فقد تذرعت بحماية الأقليات الكاثوليكية والمارونية، بينما حاولت بريطانية التغلغل في الوسط الدرزي<sup>٥</sup>، ويبدو الدور

<sup>١</sup> - فارس الخوري، أوراق فارس الخوري، بعناية كوليت خوري، دمشق، دار طلاس، ط٢، ٢٠٠١، ٨٣، ٢.

<sup>٢</sup> - حسن الحكيم، صفحة من حياة الشهبندر، مرجع سابق، ١٥٣.

<sup>٣</sup> - المرجع نفسه، ١٥١. وجاء في نفس المقال نقد لما ذكره الكاتب الفرنسي جان بيرجيرار بتاريخ ٢١ تشرين الثاني ١٩٣٦، في جريدة الجمهورية الفرنسية: "إن لبنان المحكوم بيد رجال ثقة من ذوي المحبة التي لا يخامرها شك، هو بلاد نصرانية من بلدان البحر الأبيض المتوسط مرتبط منذ أحقاب مديدة بمصير بلادنا".

<sup>٤</sup> - عبد العزيز العظمة، مرآة الشام (تاريخ الشام وأهلها)، تحقيق: نجدة فتحي صفوة، دمشق، دار الفكر، ط٢، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ٢٩٤. والاقْتباس من كلام المحقق.

<sup>٥</sup> - ميخائيل بريك الدمشقي، تاريخ الشام (١٧٢٠-١٧٨٢)، تحقيق وتقديم أحمد غسان سبانو، سلسلة دراسات ووثائق تاريخ دمشق الشام (٣)، دمشق، دار قتيبة، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، والمؤلف هو مؤرخ وكاهن مسيحي دمشقي، وكان رئيساً لدير السيدة في صيدنايا عام ١٧٦٨م. والاقْتباس من مقدمة المحقق: أحمد غسان سبانو، ٧.

الانكليزي شديد المكر إذ "دأبت إنكلترا على العمل بشتى الوسائل لتمزيق شمل الخلافة العثمانية بتفريق العرب عن الترك..."<sup>١</sup>.

تقاسم الحصص ذاك كانت له نتائج أعمق مما يتصور المرء بكثير، ويكفي العلم أن المذابح المريعة التي حصلت بين الدروز والمسيحيين، بما عرف بفتنة ١٨٦٠، كانت من ورائها فرنسة التي تظهر نفسها حامية المسيحية في الشرق<sup>٢</sup>، حيث تتقاطع تقارير القنصل البريطاني في دمشق (ريتشاروود) مع تقرير (لانس) مساعد القنصل الفرنسي في دمشق خلال آيار ١٨٦٠، إذ حاك الفرنسيون مؤامرة مع المصريين! "بهدف الوصول إلى تنازلات من السلطان العثماني تؤدي إلى إلحاق الشام بمصر، وترتكز المؤامرة إلى دفع الوالي العثماني في لبنان، وتحرير دروز جبل لبنان والحرمون وهوران على الموارد والمسيحيين الآخرين"<sup>٣</sup>، وقد حاول فؤاد باشا (وزير الخارجية العثماني) الاقتصاص من الدروز "ولكن الرعاية الإنكليزية أدركتهم"<sup>٤</sup>.

الولايات المتحدة لم تقصر أيضاً، مع خبرتها المحدودة نسبياً، وبدأت تدخلها عبر البعثات البروتستانتية<sup>٥</sup>، حيث افتتح المعهد السوري البروتستنتي في بيروت عام ١٨٦٦، والذي أطلق عليه فيما

---

<sup>١</sup> - عبد العزيز العظمة، مرآة الشام، مرجع سابق، ٣٨٢، ويمكن في الصفحات التالية الاطلاع على مكر الانكليز بالشريف حسين، ودقهم أخطر إسفين بين العرب والأتراك. كما أن المؤلف يذكر من خبرته الشخصية كيف كانت إنكلترا تحرض القبائل العربية، وتدخل إليها السلاح، حتى إذا ما ألفوه راحوا يتسابقون لشرائه، وبنادق المارتيني التي أرسلها الحاكم الإنكليزي في الهند إلى قبيلة بني لام العراقية، كان محفوراً عليها: متى ينهض العرب! وانظر الصفحات ٤٠٤-٤٠٥.

<sup>٢</sup> - من المراجع الشقيقة لموضوع فتنة ١٨٦٠: المرجع السابق نفسه، ٣١٦-٣٢٦.

<sup>٣</sup> - محمد سعيد الأسطواني، مشاهد وأحداث دمشقية في منتصف القرن التاسع عشر، تحقيق: أسعد الأسطواني، دمشق، دار الجمهورية، ١٩٩٤، ١٠٧. والسياق من كلام المحقق.

<sup>٤</sup> - عبد العزيز العظمة، مرآة الشام، مرجع سابق، ٣٢٥.

<sup>٥</sup> - أول الإنجليبين في بلاد الشام كانا: جونز كنج، وإيلي سميث الذي قدم إلى بيروت عام ١٨٢٧ م وتوفي فيها عام ١٨٥٧، وكان يتكلم العربية بطلاقة، ويلم باللغات القديمة وبعض اللغات الحديثة، وأسس مع زوجته أول مدرسة للبنات في بيروت عام ١٨٣٤، وهي السنة التي نقل فيها البروتستانت مطبعتهم من مالطة إلى بيروت، كما باشر سميث ترجمة التوراة والإنجيل من العبرية واليونانية سنة ١٨٤٩ بمساعدة المعلم بطرس البستاني، وبعد وفاته أتم زميله

بعد اسم: الجامعة الأميركية<sup>١</sup>، وعندما عقد في شباط ١٩١٩ مؤتمر لمناقشة قضية الممتلكات العثمانية السابقة ومصيرها؛ أدى ذلك إلى خلاف شديد بين بريطانية وفرنسة حول السلطات التي ستتولى إدارة الوضع الجديد، وقد وجد الرئيس الأميركي ويلسن الفرصة سانحة لإيفاد لجنة تحقيق دولية<sup>٢</sup> للتعرف على مطالب السوريين ورغباتهم في ممارسة حق تقرير المصير<sup>٣</sup>.

في التاسع والعشرين من آيار ١٩٤٥ تسبب الفرنسيون بحمام من الدم في دمشق<sup>٤</sup>، عندما هاجموا مجلس النواب واحتلوه بعد قتل حماته من الشرطة والدرك في مجزرة جماعية؛ فكانت فرصة مناسبة لإبداء العواطف الأميركية إثر استدعاء وزير الخارجية السوري جميل مردم كلاً من الوزيرين المفوضين للولايات المتحدة وبريطانية، مقدماً إليهما مذكرتي احتجاج على الاعتداء الفرنسي، طالباً رفعهما إلى الحكومتين<sup>٥</sup>، وبناء عليه قام معاون وزير الخارجية الأميركية غول<sup>٦</sup> بالإعلان "في مؤتمر صحفي عقده في ٣١ آيار ١٩٤٥ بأن الحوادث التي وقعت في الشرق الأوسط قد أحدثت قلقاً كبيراً لدى حكومة الولايات المتحدة التي أخطرت

---

كورونيلوس فان ديك العمل بمساعدة البستاني لينجز العمل عام ١٨٦٠؛ وانظر: أوراق فارس الخوري، مرجع سابق، ١، ٢٩.

<sup>١</sup> - نزار كيالي، دراسة في تاريخ سورية السياسي المعاصر، مرجع سابق، ٢٧٤.

<sup>٢</sup> - المرجع نفسه، ٣٥. وفيه أنه قدمت لجنة الاستفتاء الأميركية كينغ - كرين عام ١٩١٩، وجاء في تقريرها الفصل "أن الشعب السوري يطالب بالاستقلال الناجز ويرفض أي انتداب، كما أنه يعارض المشروع الصهيوني معارضة شديدة، أما إذا لم يكن بد من فرض انتداب محدد الأجل لإرضاء الدول الكبرى، فإن الشعب السوري يفضل الولايات المتحدة الأميركية كدولة منتدبة بالدرجة الأولى! وبريطانية العظمى بالدرجة الثانية! ولكنه يرفض قبول فرنسة كدولة منتدبة على سورية".

<sup>٣</sup> - المرجع نفسه، ٣٤.

<sup>٤</sup> - يسجل الباحث أسفه الشديد للسماح للسفارة الفرنسية في دمشق بإقامة الاحتفال بيومها الوطني في قلعة دمشق خلال شهر تموز ٢٠١٠، وهو نفس الشهر الذي جرت فيه موقعة ميسلون، حيث تمثل قلعة دمشق في ضمائر السوريين مكان المقاومة الوطنية العنيدة والتي جرى فيها سجن المقاومين من كل الطوائف وتعذيبهم وإعدام الكثيرين منهم!

<sup>٥</sup> - نزار كيالي، دراسة في تاريخ سورية السياسي المعاصر، مرجع سابق، ١٧٥-١٩٥.

بتدخل القوات البريطانية، ووافقت عليه! منعاً لسفك مزيد من الدماء في المشرق"<sup>١</sup>

ربما تتغير أيدي اللاعبين، ولكن الروح هي نفسها، سواء أكانت فرنسية أم إنكليزية، روسية أم أميركية؛ روح التدخل والوصاية والهيمنة، ولقد أثبت الواقع بما لا يدع مجالاً للشك، أن أصابع السياسة الدولية اللامحايمة وغير النظيفة هي التي تعمل في السر والعلن من خلال تبادل الأدوار على تقويض مصالح الشعوب والاتجار بها، وإيقاظ الغرائز الطائفية الكامنة فيها، بدءاً من سورية والشرق الأوسط ومروراً بالسودان ورواندا ونهاية بـإيران والعراق وأفغانستان.

---

<sup>١</sup> - المرجع نفسه، ١٧٨، نقلاً عن نشرة وزارة الخارجية الأميركية، المجلد ١٢، رقم ٣١٠ تاريخ ١٩٤٥/٦/٣، ص ١٠١٣-١٠١٤. (the U.S. Department of state Bulletin) أنه قد قدمت حكومة الولايات المتحدة الأميركية إلى الحكومة الفرنسية مذكرة مؤرخة في ٢٨ آيار ١٩٤٥ تتضمن مايلي: "إن ثمة شعوراً لدى الولايات المتحدة وغيرها من الدول بأن ممثلي فرنسا يقومون بالتهديد باستعمال القوة لحمل حكومتنا سورية ولبنان على منحها امتيازات ذات طابع سياسي وثقافي وعسكري. إن سورية ولبنان هما باعتراف كل من فرنسا والولايات المتحدة دولتان مستقلتان، كما أنهما أيضاً عضوان في منظمة الأمم المتحدة، حيث يقوم ممثلوهما بالاشتراك حالياً في سان فرانسيسكو مع ممثلي فرنسا والولايات المتحدة بمناقشة وسائل ضمان الأمن العالمي ومقاومة العدوان .... لذلك فإن حكومة الولايات المتحدة، بكل شعور أخوي، تهيب بحكومة فرنسا أن تعيد النظر بدقة في سياستها تجاه سورية ولبنان، بغية العثور على طريقة تبين للبلدين المذكورين وللعالم أجمع أن فرنسا، في تعاملها مع دول المشرق، ترغب في معاملة سورية ولبنان كدولتين مستقلتين تتمتعان بسيادة تامة كعضوين في الأسرة الدولية".

## المبحث الثاني: الظلم الذي طحن الجميع

تظن بعض الطوائف أنها قد خصت بالظلم، وعانت من الاضطهاد أكثر من غيرها، وهذا ناجم عن قلة الإحاطة بالظروف التاريخية التي مرت بها سورية خلال القرون الأخيرة، إذ إن الظلم قد طحن أهلها طحناً بمختلف طوائفهم، والظلم والاستبداد السياسي لم يبق فيها استقراراً ولا أمناً لأحد.

صحيح أن بعض العائلات من بعض الطوائف تحالفت مع السلطات السياسية من أجل مصالح متبادلة، إلا أن مكر السياسة جعلت تلك العائلات<sup>١</sup> ومعها بعض القوى الدينية تعمل خلاف مصالح طوائفها وتشارك في إرساء ظلم عم الناس من كل الطوائف وبوجه غير مسبوق<sup>٢</sup>.

وكمثل كل المجتمعات كانت هناك بعض التوترات الاجتماعية حتى داخل كل طائفة، مما لا يتسع مجال البحث للخوض فيه، ولكن الظلم أو التضييق كان يشمل الجميع، ويوضح هذا النص الطريف الذي يسوقه مؤرخ مسيحي، بعض ما كان يقوم به التفكجية<sup>٣</sup>: "وكل من طلع صوتاً من داره (يدخلوا بمسكوه) ويبلصوه<sup>٤</sup>، لأنهم كانوا يتنصتوا على الأبواب، إلى ما عاد أحد قدر يتكلم في بيته إلا بالدس والهمس، نهاراً وليلاً، وليس النصارى فقط بل المسلمين أيضاً"<sup>٥</sup>.

إن الظلم قبيح من أي جهة أتى، وفي حوادث سنة ١٧٧٦ أنها كانت "قليلة الأمطار، كثيرة المظالم من كل جانب، حتى من البطريك"<sup>٦</sup>، وحينما تكون السلطة السياسية فاسدة، فلا بد أن المحسوبين عليها

---

<sup>١</sup> - يمكن الاطلاع على نموذج من تأمر العائلات السنية والعلوية والمسيحية معاً ضد مصالح الشعب الأعزل والفقير من خلال القصة المأساوية لأبي فاتح (سليمان المرشد) والذي أعدته السلطات السياسية لاحقاً في دمشق، وانظر: - منذر موصلي، البحث عن الحقيقة (المرشدية وسليمان المرشد)، دمشق، ط ٢، دار المروة، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م، ٧٦-٦٥.

<sup>٢</sup> - بلغ الأمر بأحد الولاة عام ١٢٢٢ هـ أنه أمر في دمشق بمنع الكنافة والقطايف والبقالوة والعوامة!! ... وانظر: تاريخ حسن آغا العبد، حوادث بلاد الشام والامبراطورية العثمانية، تحقيق يوسف نعيسة، دار دمشق ١٤٣٠.

<sup>٣</sup> - تفكجي تعني الجندي حامل البندقية، والأصح: تفنكجي. وانظر: تاريخ الشام، مرجع سابق، ٣١.

<sup>٤</sup> - البلص عند العوام هي الاحتيال في السرقة، والمعنى: يفرضون عليه غرامة.

<sup>٥</sup> - ميخائيل بريك الدمشقي، تاريخ الشام، مرجع سابق، ٧٦.

<sup>٦</sup> - المرجع نفسه، ١١٦. والمقصود هو البطريك دانيال الذي كان يتحكم في نصارى دمشق، وكان ظالماً وبخيلاً ومرايياً، حتى ضج منه أهل ملته فاشتكوا إلى البطريك صفرونيوس البطريك القسطنطيني العربي الأصل، فأصلح بينهم، بعد قلاقل ومنازعات ومشاركات.



هم مفاتيح الفساد، حتى أن المناصب العليا "كالولاية، والدفتردارية<sup>١</sup>، والقضاء، والإفتاء، ونقابة الأشراف وغيرها، لا تمنح بحسب الكفاءة، بل مقابل مبلغ من المال، وأقيمت أسواق المزايدات عليها بين الطامحين"<sup>٢</sup> في أحداث عام ١١٦٦هـ/١٧٥٢-١٧٥٣م يذكر البديري الحلاق أن لصوصاً "قاموا بنهب ضرائح الصحابة والأولياء... فخلعوا شباك سيدي بلال الحبشي، وأخذوا شباك مزار الشيخ عبد الجبار بن سيدي عبد القادر كيلاني... وأخذوا ثوب تابوت سيدي أبي الذي يقع قبلي جامع الشيخ رسلان"<sup>٣</sup>. لقد كان الفساد السياسي والإداري أحد أهم عوامل الاضطرابات، "فاشتد الصراع ما بين الأمراء المحليين والحكام الإقطاعيين من جهة، وما بين هؤلاء وولايتهم من جهة أخرى، بالإضافة إلى الصراعات بين الولاة المعزولين والولاة المعينين مكانهم! ودفعت دمشق ضريبة هذه الصدمات"<sup>٤</sup>، كما كانت كثرة الجنود والأغراب مدعاة مفاسد هائلة، "ولقد نفذ الجنود والبدو أخطر عمليات السطو والنهب ضد الفلاحين والحواضر، وخاصة الجنود المرتزقة (الدالاتية واللاوند والسكبان والمغاربة)<sup>٥</sup> والمواصل والتكارتة والبغادة وغيرهم"<sup>١</sup>.

<sup>١</sup> - الدفتردار: كلمة تركية فارسية، وتعني: حافظ السجلات، وهو مسئول الخزينة والمصرف على المالية، وعادة يكون هو الشخصية الثانية بعد الوالي، وانظر لذلك: - يوسف جميل نعيسة، مجتمع مدينة دمشق، (١١٨٦-١٢٥٦هـ/١١٧٢-١٨٤٠م)، دمشق، دار طلاس، ط٢، ١٩٩٤، ١، ٢١٢.

<sup>٢</sup> - المرجع نفسه، ٢، ٥٤٥.

<sup>٣</sup> - المرجع نفسه، ٢، ٥٥٢.

<sup>٤</sup> - يوسف نعيسة، مجتمع مدينة دمشق، مرجع سابق، ٢، ٥٣٧.

<sup>٥</sup> - الدالاتية: مشتقة من أصل تركي يعني الأهوج أو الجنون، أو الطائش، وأصولهم أناضولية وكرواتية وصربية وبوسنية، وكانوا يعيشون على الغزو والنهب، لعدم وجود رواتب رسمية لهم، وكانوا يرتدون جلود النمر والأسود والدببة لإرغاب خصومهم، ومعظمهم كانوا لصوصاً أو قطاع طريق، وكانوا في صراع لا يتوقف مع باقي قوات المرتزقة.

اللاوند: اسم أطلقه العثمانيون على بحارتهم الأوائل، وهو مستعار من كلام أهل البندقية، ثم أطلقت الكلمة على المتمردين ثم الفرسان المرتزقة، واقترب اسمهم في دمشق بالأكراد، وكانوا أشداء في القتال ولا يهابون الموت، وقد عرفوا بالفساد، وقد نفت الدولة العثمانية عام ١٨٠٤ ستة عشر ألفاً منهم، فما سلم منهم إلا ستمائة خيال لجئوا إلى أحمد باشا الجزائر.

أما عندما أجبرت دمشق جنود أحمد باشا الجزائر على مغادرتها بعد وفاته، قام الجنود "بنهب المزة والمعضمية والجديدة وعرطوز، وهكذا جميع البلاد هلي [التي] في طريقهم من حمير وخيل وأواعي [ثياب] وغير ذلك، وفي عهد خلفه إبراهيم باشا الدالاتي، قام الجنود بنهب البلاد! وبعد عودته من الحج!! قام جنوده بنهب قرى الغوطة!"<sup>٢</sup>.

### المبحث الثالث: التراحم الطائفي والريادة الإسلامية فيه

جرت العادة على استعمال كلمة التسامح الطائفي لوصف الاستقرار الطائفي الذي تعيشه المجتمعات، وقد وجد الباحث أن ما كان يعيشه الناس وخصوصاً في دمشق، هو أمر أعمق بكثير من مفهوم التسامح، لذا فإنه يقترح كلمة: التراحم الطائفي، والتي بنيت على لحة إنسانية حقيقية، من النادر أن توجد في أي مكان.

من مواقف التراحم الطائفي ما حصل عام ١٧٧٧ عندما قام حاكم صيدا: أحمد باشا الجزائر، بنهب قرى الدروز، وأديرة النصارى "وجابوا [أحضروا] نسايم [نسائهم] وباعوهم في دمشق مثل الأسرى، وكان شيء يجزن القلب ويعكر خاطر، وبعد أيام قلائل، جميع الذين انتهبوا من القرى [القرى] انحدروا إلى دمشق، وكانوا كل عيلة بعيلتها، طائفين الأزقة والشوارع ليشحدوا ويأكلوا، وكم مات منهم من الجوع والبرد، وكم وكم اشترى أهل دمشق من العسكر بنات وصبيان ونسوان، وأطلقوهم لوجه الله تعالى"<sup>٣</sup>.

ذلك الفعل الإنساني له جذوره العميقة في تاريخ أهل دمشق، حتى أصبح عادة لأهلها، ومما لاحظته ابن بطوطة في رحلته أن: "الأوقاف بدمشق لا تحصر أنواعها ومصارفها لكثرتها؛ فمنها أوقاف على

---

السكبان: من أقدم أصناف الجند المرتزقة، وتعني: حارس أو حامي الكلاب، وهي تعني الجندي الذي يحمل البندقية، ويقود الكلب أمام الأمير، ثم أطلقت على المقاتلين مقابل المال، وقد حرفها العوام إلى السكمان، وأصلها فارسي. وكانت فرقة مستقلة ثم دجت بالفرق الانكشارية. وانظر لماسبق: - نعيصة، مجتمع مدينة دمشق، مرجع سابق، ١، ٢٤٤-٢٤٩.

<sup>١</sup> - المرجع نفسه، ٢، ٥٥٤.

<sup>٢</sup> - حسن آغا العبد، حوادث بلاد الشام والامبراطورية العثمانية، مرجع سابق، ١١٢.

<sup>٣</sup> - ميخائيل بريك الدمشقي، تاريخ الشام، مرجع سابق، ١١٧-١١٨.

العاجزين عن الحج، يعطى لمن يحج عن الرجل منهم كفايته، ومنها أوقاف على تجهيز البنات إلى أزواجهن، وهي [لواتي] <sup>١</sup> لاقدره لأهلهن على تجهيزهن، ومنها أوقاف لفكاك الأسرى، ومنها أوقاف لأبناء السبيل يعطون منها ما يأكلون ويلبسون ويتزودون لبلادهم، ومنها أوقاف على تعديل الطريق ورسفها ... ومنها أوقاف لسوى ذلك من أفعال الخير" <sup>٢</sup>.

إن الظلم والاستبداد والظروف القاسية تضع الناس دائماً وبمكر شديد في مواجهات قد تصل إلى حد التوحش، ووحده الفعل الإنساني، والوجدان الديني بمعناه العميق، يبطل تلك المواجهات ويعيد وشائج التراحم والمعاني الإنسانية النبيلة بين البشر.

أما في فتنه ١٨٦٠ بين الدرروز والنصارى <sup>٣</sup> "فهاجت الفتنة واشتد القتل وكثر، حتى صاروا [أي القتلة] يتعرضوا للذين في بيوت المسلمين [من المسيحيين]! وقوي الأمر وصعب، وكثر الواردون إلى القلعة [من المسيحيين] منهوبين جائعين، امتلأت دور المسلمين منهم ومن أولادهم ونسائهم" <sup>٤</sup>.

وخلال تلك المذابح الرهيبة "كان للكثير من مسلمي الشام أياد بيضاء بفتح دورهم للاجئين المسيحيين، وإنقاذهم من الغارات والتعديات كالعلامة محمود أفندي الحمزاوي [مفتي الشام]، وأخيه أسعد أفندي، والشيخ سليم أفندي العطار، وسعيد آغا الوزني، وعمر آغا العابد وصالح آغا المهائني في الميدان" <sup>٥</sup>، كما أن "نحو خمسمائة من النصارى، رجال ونساء وأولاد، غالبهم خرجوا من دار السيد عبد القادر [الجزائري]" <sup>٦</sup>.

<sup>١</sup> - في الأصل: وهي اللواتي.

<sup>٢</sup> - محمد بن عبد الله الطنجي، ابن بطوطة (٧٧٩هـ/١٣٧٧م)، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، القاهرة، المطبعة الأزهرية، ١٣٤٦هـ/١٩٢٨)، ١، ٦٣.

<sup>٣</sup> - يمكن الاطلاع على تفصيلات واسعة حول الموضوع في الحلقة الثالثة عشرة، وهي سلسلة مقالات كتبها الدكتور خلدون بن مكّي الحسني، بعنوان: الأمير عبد القادر الجزائري؛ بين عدل أهل الحديث وظلم أهل التديس. ونشرت على موقع أهل الحديث: [www.ahlalhdeth.com/vb/archive/index.php/t-140814.html](http://www.ahlalhdeth.com/vb/archive/index.php/t-140814.html)

<sup>٤</sup> - محمد سعيد الأسطواني، مشاهد وأحداث دمشقية، مرجع سابق، ١٧٥.

<sup>٥</sup> - عبد العزيز العظمة، مرآة الشام، مرجع سابق، ٣٢٥.

<sup>٦</sup> - محمد سعيد الأسطواني، مشاهد وأحداث دمشقية، مرجع سابق، ١٧٦.

خلال الحرب العالمية الأولى كان هناك خشية من تعرض المسيحيين في دمشق إلى أوضاع جائرة، ولكن التراحم الطائفي قام بدور مؤثر، مما دعا المونسنيور إبراهيم مسابكي، مندوباً من حبر الفاتيكان أن يقوم بزيارة الشيخ بدر الدين<sup>١</sup> [الحسيني] وشكره حيال محافظته على المسيحيين، حيث أجابه الشيخ "أنه قام بواجبه ولا شكر على الواجب، وإن المسيحيين إخواننا وشركاؤنا في هذا الوطن فما ينالهم ينالنا من خير أو شر"<sup>٢</sup>.

تلك الروح المحلقة جعلت بطريك الروم الكاثوليك يقول في كلمة مؤثرة وذات دلالة عميقة: "كانت بلادنا العزيزة قد بقيت زمناً طويلاً مرتعاً للأحزاب، وميداناً للتباغض والتنافر، فعمل [أي الشيخ بدر الدين] حتى آخر دقيقة من سني شيخوخته الكريمة على لم شملها، وتقارب أبنائها... فانقادت له الجماعة وخيمت على رأس كبيرهم وصغيرهم، وعلمهم وجاهلهم، وأميرهم وسوقتهم، أعلام المحبة والثقة المتبادلة مع احترام الأديان، واعتبار الإنسان لأخيه الإنسان، فكم مرت على البلاد محن وبلايا، وكم ساقط لها الأقدار من الرزايا، وكم مهدت ظروف الحال، وأطماع بعض الرجال للجموع المتحمسة، من صنوف الإيقاع... فكان يقف دائماً حصناً منيعاً في وجه النافخ في النار، ويصرف الجماعة عن المطامع والانتقام، إلى الوفاق والتسامح والسلام، وإن ما نراه اليوم بيننا من التآلف والتحالف... رغم تباين العقائد وتنازع المشارب هو ببعضه، بل بأكثره ثمرة جهود هذا الشيخ الإمام، ونتيجة ما زرعه من المحبة والسلام... وهذه الحفلة التأبينية التي جمعت جنباً إلى جنب المسلم والمسيحي... ليست إلا تحقيقاً لتعاليمه وأثراً لسحر سلطانه على الجموع، وإذا كانت الأوطان لا تقوم إلا على عمُد الاتحاد والتضحية والمحبة والسلام بين الأفراد، فإنه يرجع الكثير الكثير من الفضل في تكوين هذا الوطن السوري العربي المفدى [وبعد أن يثني غبطة البطريرك على أهل دمشق يقول:] لكن بعض أيام العواصف لا بد خلقت أحياناً جواً

---

وقد ذكرت بعض المراجع أن الأمير عبد القادر قد أمن الحماية لحوالي إثني عشر ألفاً من النصارى واليهود، ممن احتسوا به من غضب جماعات ثائرة، وانظر لذلك: - خلدون بن مكّي الحسيني، الأمير عبد القادر، الحلقة ١٣، مرجع سابق.

<sup>١</sup> - المحدث الأكبر الشيخ بدر الدين الحسيني (١٨٥١هـ/١٩٣٥م) كان المرجع الأعلى للمسلمين في بلاد الشام وكبير علمائهم، وانظر لذلك: محمد رياض المالح، عالم الأمة وزاهد العصر: العلامة المحدث الأكبر بدر الدين الحسيني، دمشق، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.

<sup>٢</sup> - جريدة فتى العرب، العدد ١٥٤٣، الخميس ١٥ شعبان ١٣٣٥هـ/١٧ شباط ١٩١٧م، وانظر المرجع نفسه،

.٢٣٠

مكهرباً، فكان الفقيد العظيم يعمل بحكمته ودرايته ونفوذه ورجاله، على تبديد السحب وصيانة الأعراس والأرواح والأموال"<sup>١</sup>.

تلك الروح المحلقة التي تحدث عنها البطريك كانت هي الإطار الجامع لكل الطوائف، وبينما قام المفوض الفرنسي عقب استشهاد حسن الخراط "باعتقال زعماء الأحياء بدمشق، وهدد بتسليط الجند السنغالي على أعراس النساء!"<sup>٢</sup>؛ أنشأ المجاهدون محكمة للثورة، وكانت لها أحكام قطعية، والغاية من تشكيلها هو "فرض هيئة الثورة، وتفادي وقوع أي اعتداء من الثوار على النساء والأعراس، وحفظ حقوق العباد..."<sup>٣</sup>، وقد أعيدت التشكيلات وعين الشيخ محمد حجازي كيلاني مفتياً للثورة، والشيخ توفيق سوقية رئيساً لمحكمتها<sup>٤</sup>.

لقد كان الوعي السائد عند الجميع شيئاً أخذاً حقيقة، وبينما أعلن غورو نفسه حامياً للمسيحية (في الأرض التي يعتقد جميع سكانها أنها شرفٌ بالمسيح عليه أزكى الصلاة والسلام)، ومنتاسياً بفجاجة أنه غريب ومحتل كريبه، قام المسلمون والمسيحيون معاً بتواصل مدهش، من خلال تلك العريضة القيمة التي جلت موقف المسيحيين، بل اليهود، وبينت إدراكهم العميق للدور الفعال الذي قام به المسلمون تجاههم، والتراحم العميق الموجود بين كل الطوائف، فرفع الرؤساء الروحيون وزعماء الطائفتين، عريضة إلى رئيس الوزراء، علاء الدين الدروبي توثق التضامن الموجود وتقطع الطريق على اليد التي تحرك الطائفية: "إعلاناً للحقيقة واعترافاً بالفضل لذويه نرفع نحن المسيحيين والموسويين المستقرين في دمشق وضواحيها على تعدد مللنا وطبقاتنا القومية، تشكراتنا القلبية، موجهة إلى العلماء والأعيان والوجهاء والعامّة من إخواننا المسلمين في دمشق وضواحيها، لما صدر منهم في الأيام الأخيرة المخوفة من السهر على الراحة العامة وإقامة جنود وطنية للمحافظة على الأمن والسكينة ومنع الاضطرابات المقلقة، مما

<sup>١</sup> - خلال حفل تأبيني أقيم بعد ظهر الثلاثاء ١٤ جمادى الأولى ١٣٥٤هـ/١٣/ آب ١٩٣٥م، على مدرج الجامعة بمناسبة مرور أربعين يوماً على وفاة الشيخ بدر الدين، ونقلت بعض كلماتها جريدة الجزيرة، العدد ٣٢٦، الجمعة ١٧ جمادى الأولى ١٣٥٤هـ/١٦/ آب ١٩٣٥م. وانظر: المرجع نفسه، ١٢٠-١٢٥.

<sup>٢</sup> - أدهم آل حندي، تاريخ الثورات السورية في عهد الانتداب الفرنسي، دمشق، مطبعة الاتحاد، ١٩٦٠، ٣٥٨.

<sup>٣</sup> - المرجع نفسه، ٣٥٨.

<sup>٤</sup> - المرجع نفسه، ٣٦٨.

يسطر لهم الذكر الجميل في صحف التاريخ، ويوجب لهم لدى معاليكم يادولة الوزير أن يفوزوا بتكرمة وتقدير...<sup>١</sup>.

لقد حاول الجنرال غورو أول قدومه، تقطيع أوصال سورية، وتفرقة أبنائها على محاور الطائفية، "فأقدم على إحداث دولة لبنان الكبير ثم تأسيس دولة العلويين، بموجب قرارين بتاريخ ٣١ آب ١٩٢٠، ثم تلا ذلك إقامة دولة دمشق فدولة حلب وتبعها إقامة دولة الدروز بتاريخ ٤ آذار ١٩٢١"<sup>٢</sup>. ولكن أبناء سورية من كافة الطوائف وقفوا في وجه مخططاته الماكرة، ويذكر رئيس الوزراء السوري الأسبق معروف الدواليبي، أن سبب إخفاق فرنسا لتقسيم سورية عام ١٩٢٥ إلى دويلات متعددة، يرجع إلى "الانتفاضات الشعبية التي قامت في سورية، وبخاصة في حلب التي فصلت عن دمشق تحت اسم حكومة حلب، فقد انطلقت فيها مظاهرة من أكبر المظاهرات التي شهدتها سورية ومن أشدها، فكانت القضية على مشروع الدويلات من أساسه... وقد اشترك في المظاهرة الكبيرة كبار العلماء والطلاب. وكان كثير من المتظاهرين يحملون السلاح، وقد قوبلت المظاهرة بالمدفعية والرصاص... وبدأت الصحف تعلن عن تجمعات الثوار وأخبارهم كل يوم، فأسقط في يد الفرنسيين وأخذوا يتراجعون عن مخططاتهم ومشروعهم بتقسيم سورية إلى دويلات"<sup>٣</sup>.

---

<sup>١</sup> - ساطع الحصري، يوم ميسلون، مرجع سابق، ٣٠٥، وقد وقع العريضة كل من : بطريك الروم الكاثوليك: تقلاوس، متروبوليت بصرى وهوران: ميخائيل بخاش، مطران السريان بدمشق: أستودس كيسسهان، النائب الأسقفي الماروني بدمشق: الخوري إبراهيم مساكي، فارس الخوري، ناصيف أبو زيد، أسعد أبو شعر، قسطنطين الحمصي، إبراهيم طويل، ميخائيل وإلياس صحنواوي، ميشيل أواديس، شفيق قدسي، أنطوان أبو حمد، خليل عنحوري، اسبر الخوري، موسى سعد شامية. وقد نشرت العريضة في جريدة العاصمة بتاريخ ٢ آب ١٩٢٠.

<sup>٢</sup> - نزار كيالي، دراسة في تاريخ سورية، مرجع سابق، ٤٧-٤٩. بتصرف.

<sup>٣</sup> - نقلاً عن: <http://www.aawsat.com/details.asp?issueno=9706&article=307826>

وانظر: مذكرات الدكتور معروف الدواليبي، إعداد: عبد القدوس أبو صالح، تحرير: محمد علي الهاشمي، الرياض، مكتبة العبيكان، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ١٤-١٥.

وفي لفتة رائعة ذكر سلطان باشا الأطرش<sup>١</sup> في كلمته لتأيين الشهبندر ما كان قد صرح به الأخير في خطاب له: "اجمعوا قلوبكم إلى قلوبنا، وضموا قلوبنا إلى قلوبكم، لا توصلوا أبواب الوطن في وجه من كان عاملاً صادقاً، لأن جنة هذا الوطن تتسع للجميع من غير تفريق في الملة"<sup>٢</sup>.

### المبحث الرابع: فكر محلق فوق الطائفية

يقول أحد مؤسسي جمعية التمدن الإسلامي وعلمائها، عبد الفتاح الإمام: "يجب الانتباه إلى أننا أمة واحدة، إلهنا واحد... وأعمالنا للدين والدنيا ترجع إلى أصل واحد... فمن أين جاء التفريق والخصام؟ لاشك أن للسياسة الغاشمة يداً في هذا التفريق..."<sup>٣</sup>.

إن من لم يكن مسلماً بالدين فهو مسلم بالثقافة، وبالتالي فإن مكونات الأمة كلها بمسئوليتها ومسيحيها ينبغي أن تكون يداً واحدة لبناء وطن آمن ومستقر، وفيما يلي بعض اللفتات التي وجدها الباحث عن علاقة جمعية التمدن الإسلامي بكافة الأطياف في سورية، مع الاعتذار عن عدم استيفاء الأمر حقه، بسبب اتساعه.

<sup>١</sup> - سلطان باشا الأطرش (١٨٨٦-١٩٨٢) : القائد العام للثورة السورية، وبقية الأبطال من بني معروف، ولد في قرية القرية، ونشأ على تقاليد العرب الأصيلة من الشهامة والمروءة والشجاعة، وفجر ثورة جبل العرب ضد الاحتلال الفرنسي عام ١٩٢٥، وقد أبلى في الفرنسيين أعظم النكايات، وهزمهم في عشرات المعارك، وبعد إخماد الثورة عام ١٩٢٧ هاجر بأسرته وأتباعه ليعيش عشر سنوات في المنافي بين الأردن والحجاز، وعند صدور عفو عنه رفض مصافحة الجنرال الفرنسي كاترو وقبول هديته (ألف ليرة ذهبية) كما لم تخرج منه كلمة شكر، وانظر للاستزادة:

- جميل شاكر الخانجي (١٨٩٨-١٩٧٦)، ثوار صنعوا الاستقلال (صفحات مضيئة من تاريخ الثورة السورية)، إعداد وتحرير: نشأت جميل الخانجي، دمشق، دار الشرق، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، ٢٥٩-٢٧٤. والمؤلف كان أمين سر الثورة السورية، وعضو اللجنة العليا للدعاية والاستخبارات.

- أدهم آل جندي، تاريخ الثورات السورية، مرجع سابق، ١٨٩-٢١٣.

<sup>٢</sup> - حسن الحكيم، صفحة من حياة الشهبندر، مرجع سابق، ١٩٥. وقد أقيم التأيين بتاريخ ٢ أيلول ١٩٤٠، وألقى كلمات الأمير عبد الله، وهاشم الأتاسي، وسلطان باشا الأطرش، صديق الشهبندر وتلميذه زكي الخطيب، وقد نشرت الكلمات في جريدة الأيام، العدد ٢٢٣٤، ٤ أيلول ١٩٤٠.

<sup>٣</sup> - عبد الفتاح الإمام، خلاصة الدواء، مجلة التمدن الإسلامي، مرجع سابق، السنة ١٣٦٦، ١٢هـ، ٣٩٩.

## أولاً: العلاقة مع المسيحيين:

تحظى المسيحية في الوجدان الإسلامي باحترام مميز<sup>١</sup>، ويكفي ما ذكرته سورتا الروم ومريم عليها السلام لبيان ذلك، ولكن هناك فتوراً ملاحظاً في العلاقات بين المسلمين والمسيحيين<sup>٢</sup>، وقد حاول رجال التمدن ردم الهوة بين الطرفين، فكتب الأستاذ أبو عصام<sup>٣</sup> مقالاً بعنوان: نشاط الإسلام عند نصارى العرب<sup>٤</sup>، وحاول النفاذ فيه إلى الحقائق المجردة فقال: "إذا حصل ما يعكس الصفاء بين المسلمين ونصارى هذه البلاد في بعض الظروف فهذا ناجم: عن دسائس الدول الاستعمارية التي تعمل دوماً، بالخفاء على تفريق أبناء الوطن، وتعصب بعض رجال الدين الذين يسعون (جهلاً وحمقاً) لإلقاء العداوة

<sup>١</sup> - أطلق الإسلام كلمة أهل الذمة على من يعيشون في رحاب مجتمع المسلمين من غير المسلمين (اليهود والنصارى)، والذمة في اللغة تعني: العهد والضمان والأمان، ولا يحمل الأمر أي معنى سلبي، ولكن صار هناك نفور منه عند بعض غير المسلمين معتبرين أنه يتضمن نوعاً من الوصاية غير المقبولة! في هذا الزمان، والشريعة تبحث أولاً عن المعاني ثم المباني، ولا مُشاحّة في الاصطلاح، لذا كتب المفكر الإسلامي: فهمي هويدي كتاباً مميزاً سماه: مواطنون لا ذميون (موقع غير المسلمين في مجتمع المسلمين)، وقد نشرته دار الشروق، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ط٣، وينصح الباحث بقراءته لمن تمهم هذه المواضيع. كما ينصح بقراءة فصل مهم حول الموضوع في كتاب الجهاد للعلامة الدكتور يوسف القرضاوي، القاهرة، مكتبة وهبة، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.

<sup>٢</sup> - يشعر كثير أو قليل من المسيحيين بنوع من القلق بسبب زيادة الغرق في المحيط الإسلامي، وقد هاجر العديدون منهم بسبب ذلك، وهناك واجب أخلاقي على الجميع القيام به، وهو زيادة التراحم والتواصل بينهم، والقفز فوق الظروف القاهرة والتعكيرات الطائفية والتي تسوق الجميع إلى الهاوية.

<sup>٣</sup> - نشر المقال باسم أبي عصام دون تفصيل، ويغلب على ظن الباحث أنه خير الله صبحي الجعفري.

<sup>٤</sup> - استعملت كلمة النصارى في القرآن الكريم لوصف أتباع روح الله وكلمته عيسى عليه السلام، فقال تعالى: (لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيَسِينَ وَرَهَبَانًا وَآهَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ) (المائدة - ٨٢)، وقد لاحظ الباحث أن هناك عدم ارتياح من بعض المسيحيين لاستعمالها، وضمن حدود علمه فهو لا يعتقد أن هناك أي إشكال شرعي في استخدام كلمة المسيحيين إن كانت هي ما يحبه القوم لأنفسهم، مع العلم أن كلمة نصارى استخدمت من قبل المسيحيين أنفسهم تاريخياً في كثير من المواضع.



والبغضاء بين البسطاء باسم الدين ... والدين الإسلامي والمسيحي بريثان من جرائمهم<sup>١</sup>... وتعصب بعض الولاة من المسلمين الذين كانوا يجهلون أبسط مبادئ دينهم<sup>٢</sup>.

مما يلفت النظر عندما أنشئت مدرسة التمدن الإسلامي عام ١٩٤٥، أنها استعانت بثلاثة مدرسين مسيحيين<sup>٣</sup>، [الوثيقة رقم ١] وهم: ريمون هيرا، أنطون جناوي، جوزيف السبع،



الوثيقة رقم (١)

<sup>١</sup> - إن حوادث التصفيات الدموية في العراق طالت الجميع مسلمين (سنة وشيعة)، عرباً وأكراداً، مسيحيين ولا يشك الباحث أن هناك قوى إقليمية وعالمية وراءها، ولكن الأكثر خطورة هو الاقتلاع والتصفية لبعض الطوائف الصغيرة، والتي هي أقدم سكان المنطقة، وعلى سبيل المثال فإن الطائفة السريانية هي إحدى الطوائف التي تتعرض لتصفية مخيفة في ظل صمت محلي ودولي مريب. وما من دين أنزله الله يرضى بذلك الإجماع كائناً ما كانت دوافعه، وانظر موقع: <http://www.marefa.org> للاطلاع على تاريخ الكنسية السريانية الأرثوذكسية.

<sup>٢</sup> - مجلة التمدن الإسلامي، مرجع سابق، السنة ١٤، شعبان ١٣٦٧هـ / ١٩٤٨م، ٢٠٥.

<sup>٣</sup> - انظر غلاف التمدن، مرجع سابق، السنة ١١، شوال ١٣٦٤هـ = ١٩٤٥.

ليس لقلة المدرسين المسلمين، بل بحثاً عن أرقى المستويات التعليمية من أجل المصلحة العامة، كما أن مستوصف الجمعية الذي أسس عام ١٩٥٩، قد استعان بطبيب مسيحي هو جورج كساب<sup>١</sup>، وهذه سابقة ليس سببها الحاجة بل الانفتاح والتعاقد.

شكل فكر التمدن زاداً مميزاً للمهاجرين يربطهم ببلادهم ولغتهم، إن لم يكن بعقيدتهم ودينهم، حتى إن الأديب المهجري الكبير إلياس قنصل أرسل رسالة بتاريخ ٢٩ أيلول ١٩٧٥ م يطلب فيها إرسال نسخ من كتاب: (الني محمد ٣، كلمات بأقلام نخبة من الباحثين والأدباء المسيحيين المنصفين) والذي نشرته الجمعية عام ١٩٦٤ م، مردفاً: "وأغتنم السانحة لأسجل عميق إعجابي بما قمتم به وتقومون من جهود موفقة جبارة لرفع شأن العروبة، وأسأل الله أن يديمكم سنداً لها وتفضلوا بقبول فاتق احترامي .. [الوثيقة رقم ٢]<sup>٢</sup>"، وقد قامت الجمعية بإرسال بعض الكتب هدية إليه، وهذا يدل على الأفق الواسع الذي يتجاوز الطائفية، ويعمل من خلال مصلحة عليا للجميع.

---

<sup>١</sup> - انظر سجلات مستوصف جمعية التمدن في سنواته الأولى. وجدير بالذكر أن الجمعية ضمت كبار أطباء سورية، ومنهم الدكتور محمد جميل الخاني: رئيس الجمعية ونقيب الأطباء، والدكتور حمدي الخياط: نقيب الأطباء، وهما من مؤسسي كلية الطب، والدكتور شوكت الشطي والدكتور عبد الوهاب القنواقي شيخ الصيادلة ونقيهم، وغيرهم، ومن أبرز أطبائها الحاليين الدكتور هيثم الخياط كبير مستشاري منظمة الصحة العالمية للشرق الأوسط وشمال أفريقية.

<sup>٢</sup> - كتبت الوثيقة على الآلة الكاتبة ووقعها الأستاذ قنصل وكتب عنوانه بخطه، وتحت خط الأستاذ العظمة للكتب أرسلت إلى قنصل.

المجاهدون الافاضل الاساتذة

رئيس واعضاء " جمعية التمدن الاسلامي " الموقرة

تحية عربية طيبة

رغبة مني في الاطلاع على بعض ما قيل في الآونة الاخيرة عن

النبي العربي الكريم وتمهيدا لترجمة مختارات منه الى اللغة الاسبانية ونشرها في الجبهات

الاميركية ارجو منكم ان تتكرموا وتبعثوا اليّ على عنواني ادناه بنسخة من كتلة " النبي محمد صلى

الله عليه وسلم . كلمات باعلام نخبة من الباحثين والادباء المسيحيين المنصفين " الذي نشرتموه

في تموز ١٩٦٤ . ولكم جزيل الشكر سلفا

واغتنم السانحة لاسجل عميق اعجابي بما قتم به وتقومون من جهود موفقة

حيارة لرفق شأن العربية . واسأل الله ان يديمكم سنفا لها وتفضلوا بقبول فائق احترامي

السياس قنصل

السياس قنصل

بوانس ايرس ١٩٧٥ / ٩ / ٢٩

عنواني:

ELIAS KONSOL

AVENIDA SAN MARTIN 6918

BUENOS AIRES

ARGENTINA

- نبوت في افرا دمشق

- الراجز ٨-١ / ٢٢

- محمد والمصطفى

- النبي محمد ص

- المرشد محمد

- ليد القدر

الوثيقة رقم (٢)

يبلغ الإدراك المشترك درجة أنه قد "عرض أمر مساع تبذل لاتحاد (إسلامي - نصراني) لمكافحة الرذائل التي ينكرها الدينان، فتقرر المساهمة في هذه الفكرة"<sup>١</sup>، وليت مؤسسات المجتمع المدني تجد فسحة كافية لتنتقل بمثل هذه الإطارات، في عمل إيجابي يعود خيره على الجميع.

<sup>١</sup> - سجل القرارات، مرجع سابق، الجلسة ٦١ (٢٤ شوال ١٣٦٧هـ / ٢٩ آب ١٩٤٨م)، ١٦٦.

من الأمور المميزة في وعي الإسلاميين عموماً ورجال التمدن خصوصاً، هو ذلك الإدراك للمصالح الوطنية التي تجمعهم، وسعيهم للتعاون مع كافة الأطراف الطائفية لتحقيقها، ومثال ذلك انتخابات عام ١٩٤٧، حيث برزت هناك قائمة سميت: قائمة الأمة [الوثيقة رقم ٣]، وقد أيدتها رابطة العلماء ورجالات الوطنية والعلم والجهاد، وقد ضمت وطنيين كبار مثل زكي الخطيب وحسن الحكيم، ورجال التيارات الإسلامية مثل محمد المبارك وعبد الحميد الطباع وعارف الطرقي، وعلي الطنطاوي، وأبرز شخصيات التمدن: أحمد مظهر العظمة<sup>١</sup>، ولكن المدهش أيضاً أنها ضمت: فارس الخوري، عن الطوائف المسيحية غير الممثلة، وقسطنطين منسي عن الروم الأرثوذكس، وفريد أرسلانيان عن الأرمن.



الوثيقة رقم (٣)

<sup>١</sup> - نال أحمد مظهر العظمة ٢٢٢٥٤ صوتاً، ولطفي الحفار ٢١٦٧٢ صوتاً، وصبري العسلي ٢٠٤٦٣ صوتاً، وحسن الحكيم ١٨١٦٦ صوتاً، وخالد بكداش ٩٨٨٦ صوتاً، بينما لم ينل ميشيل عفلق إلا ١٠٦٣٠ صوتاً. وقد تدخلت الولايات المتحدة في تلك الانتخابات بفجاجة مما شرح سابقاً، وغيرت من نتائجها، وانظر لتفاصيل الانتخابات: - جريدة بردى اليومية، لصاحبها: جورج فارس ومنير الرئيس، السنة الثانية، العدد ٣٠١، ٢٤ شعبان ١٣٦٦هـ/ ١٣ تموز ١٩٤٧م، الصفحة الرئيسية.

من الصعب على غير السوريين فهم الحادثة التالية: "عندما أصبح فارس الخوري رئيساً لوزراء سورية سكن في منزل يقابل جامع الأفرم [منطقة شوري-المهاجرين]، وكان مؤذن المسجد هو أكرم خلقي [رسام له محل في منطقة الطلياني] وفكر كما يلي: إن دولة رئيس الوزراء يقوم بمهمات عظيمة ولا شك أنه متعب وربما لم ينم إلا قبل قليل، وإذا رفعت صوتي بالأذان للصلاة [لم يكن وقتها هناك مكبرات للصوت] فربما أوقفه، ومصالح الناس تقتضي أن ينال الراحة الكافية ليتابع خدمتهم! واتجه أكرم خلقي من الباب الجنوبي ليؤذن عند الباب الشمالي! كي لا يصل الصوت إلى بيت رئيس الوزراء! وفي اليوم التالي استدعى فارس الخوري مؤذن المسجد وسأله عن سبب عدم رفع الأذان البارحة! فأخبره المؤذن بالقصة فانزعج الخوري قائلاً: هل تعلم أنني لا أنام قبل أن استمع إلى نداوة أذان الفجر واستلهم منه ما يعينني على متابعة أعمالي! غداً يكون الأذان كالمعتاد! وهكذا كان".<sup>١</sup>

إن للمجتمع السوري خصوصيته التاريخية والاجتماعية المميزة، التي تتجلى دائماً في صور فائقة الوعي والأداء.<sup>٢</sup>

### ثانياً: العلاقة مع الشيعة:

ربما لم يحصل شرح في تاريخ الأمة كمثل الشرخ الذي حصل بين السنة والشيعة، ولا زال الباحث يعتقد رغم كل الإشكاليات الموجودة بين الطرفين، أن العقلاء يمكن أن يزيلوا العداء، حتى إذا لم يزل الجفاء، وكان للجمعية سبق في التواصل، فقد قررت "الكتابة إلى السيد محسن الأمين وإلى الشيخ عبد الفتاح الإمام، بشأن المركز التبشيري في دمشق"<sup>٣</sup>. وذكرت المجلة مايلي: "اقترحنا على سماحته كلمة في هذا الموضوع فتفضل بهذا المقال"، ونشر بعنوان: الاتحاد سعادة والتفرق خسران، لسماحة

<sup>١</sup> - حدثني بالقصة أكثر من مرة: الدكتور شوقي أبو خليل نقلاً عن الأستاذ هاني المبارك، وكان حاضراً الدكتور نزار أباطة، في دار الفكر بدمشق وصاغها الباحث بأسلوبه.

<sup>٢</sup> - سمعت عدة مرات من القاضي الجليل هيثم المالح شيخ الحقوقيين والمدافعين عن حقوق الإنسان في سورية، أن رئيس الوزراء فارس الخوري عندما عاد من الولايات المتحدة، طلب إحضار طربوشه ليلبسه في المطار! ويبدو أن ابنه لم يتذكر الأمر، فوجد الخوري حرجاً كبيراً، فما كان من الشيخ بهجة البيطار إلا أن خلع عمامته ووضعها على رأس الخوري تمويناً للأمر عليه.

<sup>٣</sup> - سجل القرارات، مرجع سابق، الجلسة ٣٩، (٢ ذي الحجة ١٣٥٧هـ / ١٠ الثاني ١٩٣٨م)، الفقرة ١، ٨٥.

العلامة الأستاذ السيد محسن الأمين العاملي<sup>١</sup>، وفي الهامش: وفي نفس العدد مقال<sup>٢</sup> بعنوان: "عبرة الذكرى النبوية" للأستاذ أحمد صندوق [مدير المدرسة الحسينية].

يقول أحمد مظهر العظمة، مخرجاً الشيعة مما ابتلي به أكثرهم نتيجة غلو بعضهم: "وعلى كل فإن هذا الطرف البعيد الذي نفخ فيه أصحاب الأغراض المسمومة ليس يعني أن التشيع كله كذلك، وإنما يعني الغلو الذي خرج بأهله عن حظيرة الحق والاعتدال، فالشيعة فرق عدة منهم المغالي المتطرف حتى بلوغ درجة الكفر فلا يعد من الفرق الإسلامية في شيء... ومنهم المقتصد الذي لم يغل هذه المغالاة بل بقي على أركان الإيمان والإسلام. ولا يلتفت إلى نقل القدح (في الشيخين أبي بكر وعمر) من غلاتهم فهو مردود عندنا وعندهم"<sup>٣</sup>.

يشير الباحث إلى مقال مهم كتبه عن العلاقة بالشيعة وإيران ومنعها من امتلاك الطاقة الذرية، فيرجى الاطلاع عليه [ملحق رقم ١].

### ثالثاً: العلاقة مع العلويين:

إن بيان الحق أمانة ثقيلة، ويعتبر وضع الطائفة العلوية من المواضيع الشائكة، التي امتزج فيه التاريخي مع السياسي، وقد عانت الطائفة من تهميش واضح<sup>٤</sup>، وعدم فهم لها، وساهمت العزلة في غلو

---

<sup>١</sup> - السيد محسن العاملي، من كبار علماء الطائفة الشيعية، وآخر المراجع العظام في بلاد الشام، وله مؤلفات كثيرة، وكان ذا أفق واسع وحاول الخروج بالطائفة من بعض العادات السلبية، وإليه تنسب المدرسة الحسينية.

وقد نشرت المقالة في مجلة التمدن جمادى الآخرة ١٣٦٧هـ / نيسان ١٩٤٨م، السنة ١٤، ٦.

<sup>٢</sup> - المرجع نفسه، مجلد السنة ١٤، ١٠.

<sup>٣</sup> - أحمد مظهر العظمة، حضارتنا، س ١٢، رجب ١٣٦٥هـ، ٢٢٣. والجملة الأخيرة منقولة عن مقدمة ابن خلدون، ١٦٤.

<sup>٤</sup> - لا يتحدث الكاتب بالطبع عن بعض العناصر الفاسدة، والتي لا تخلو طائفة منها، والتي ربما تستغل طائفتها بانتهازية مخيفة، وتتاجر بالآلام الناس لركوب مصالحها الخاصة سياسية كانت أم اقتصادية أم دينية، بل يتحدث الباحث عن العلويين ككيان بشري، عاش مهمشاً دون أن تمتد إليه يد حانية، وقلب مفتوح، بحيث يساعد على فهمه وإدراك معاناته، وينصح الباحث بقراءة كتاب: منير الشريف، المسلمون العلويون، من هم؟ وأين هم؟ وقد طبعته المطبعة العمومية بدمشق طبعة ثانية عام ١٩٦٠.

أفراد منها وشططهم، بل تغلغل خرافات خطيرة لايرضى بها علماءهم<sup>١</sup>، ولا مثقفوهم، واستعملت الأطراف المقابلة موضوع التكفير والإخراج من الملة كسلاح خطير للعزل وزيادة التهميش، دون أن تحس بآلام العلويين ومعاناتهم<sup>٢</sup> و"الشعوييون أبعدهم عن العالم، وحصروهم في الجبال، ومنعوهم من الاختلاط بغيرهم، وأغروا بعض المؤلفين آنئذ، فكتبوا عن العلويين (النصيرية) ما لاينبغي أن يكتب، وهاجموهم في كتبهم هجوماً ليس بمستحسن ولا يجوز أن نقرهم عليه..."<sup>٣</sup>، وإن العلوي عموماً إنسان فيه من الصفات الإيجابية ما قد يندر عند غيره، وهو شديد الحذر والارتياح، بسبب ماض أليم، ولكنه إن وثق بك صار أقرب الناس إليك<sup>٤</sup>، وبينما كان الواجب أن يكون الإسلام هو المعصم الجامع الذي يضم الأصابع كلها<sup>٥</sup>، فإن عدم النضوج لدى شرائح من المكون السوري! أدى إلى نزوفات دامية لم تفد أحداً<sup>٦</sup>، بل صنعت جرحاً غائراً يجب على العقلاء من كل الأطراف أن يساعدوا على البرء منه، وفوق

---

<sup>١</sup> - كان للباحث تجارب شخصية إيجابية ومثمرة مع بعض أفراد الطائفة العلوية، ويخص منهم بالذكر العالم الجليل الشيخ محمد الحكيم رحمه الله، والمفكر والشاعر داعية حقوق الإنسان الدكتور محمود صارم، والعميد محمد سليمان رحمه الله.

<sup>٢</sup> - اطلع الباحث ومن قبل أطراف موثوقة على حوادث تقشعر لها الأبدان، وظلم مخيف، تعرض له أبناء وبنات الطائفة العلوية قبل عشرات السنين، مما يخجل التاريخ من ذكر مرارته، ولكن في نفس الوقت فإنه ليس ذنب أي طائفة ظهور مفسدين ينتسبون إليها، ويجرون طوائفهم لدفع ثمن باهظ نتيجة ظلمهم وفسادهم، لأنهم كما أفسدوا في غيرهم فقد أفسدوا في طوائفهم التي ينتسبون إليها وظلموها، (يمكن الاطلاع على قصة حزينة بعنوان: شروال يرهوم للأديبة نادية الغزى، وهي تشرح جزءاً من معاناة الناس)، وقد آن للأمة بكل مكوناتها أن تخرج من عقد التاريخ، وتبني المستقبل، وتناقش الإشكاليات الموجودة ببصيرة موضوعية، وقلوب مفتوحة.

<sup>٣</sup> - منير الشريف، المسلمون العلويين، مرجع سابق، ١٥٥.

<sup>٤</sup> - المرجع نفسه، راجع فصل: نفسية العلوي ١٤٥-١٥٠.

<sup>٥</sup> - عبارة مقتبسة من كلام العلامة الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي في مناسبات عدة، وهو ينتقد الفكر الذي يمزق الأمة.

<sup>٦</sup> - كانت حوادث الثمانينات الدامية تتويجاً لجهل متبادل بين السلطة والجماعات الإسلامية، والذي بدأ بعد الاستقلال من خلال المراهقات السياسية والتوترات التي كانت تعيشها كل التيارات والطوائف ولم يستطع أحد أن ينجو من دوامتها.

ذلك فإن يد السياسة الدولية، حاولت أن تزيد الشقة بين الطوائف، وقد أخفقت أثناء الاحتلال، ونجحت بعد الاستقلال!

الشيء الذي لا يعرفه الأكثرون، ولم يُشر إليه من قبل هو أنه وجد فرع أو لجنة لجمعية التمدن الإسلامي في "قضاء صافيتا، في [قرية] بيت الشيخ يونس"، ومعلوم أن هذه القرية كلها من العلويين، وكانت هناك صلات قوية بين الطرفين، ويمكن معرفة أسبابها من خلال المقال التالي، لكاتب من صافيتا (بيت الشيخ يونس) يقول: "نشطت في الجبل العلوي دعايات الأجنبي، ففتكت ببعض أهلها فتكاً ذريعاً وأصبحوا على ما هم عليه من حالة سيئة، فأمسوا لا يكادون يعرفون من أحكام دينهم شيئاً، نقول هذا مع العلم بأن دعاة الأجنبي المستعمر على الرغم مما بذلوا لم يسيطروا إلا على طبقة قليلة ضعيفة الإرادة كثيرة السذاجة.

ومعلوم أن العلويين من صميم الإسلام وقلب العروبة، وقد كان المستعمر يحاول أن يحقق أغراضه ومآربه فيهم، فخرجوا من أولي الأمر الآن أن يصلحوا ما أفسد، ويغرسوا مانجني منه ثمرات طيبة<sup>٢</sup>، حتى لا تخلو مدرسة إسلامية أولية أو ابتدائية في محافظة العلويين من تطبيق درس وقواعد الدين الإسلامي في الصفوف على اختلافها، وأن تفتح مدارس كثيرة كي تكافح الأمية، لأن ثقافة الأمة وتوجيهها إلى الأعمال الصالحة النبيلة لا تتوقف إلا على تربية النشء وتعليمه الأهداف الكاملة الشريفة، والمبادئ المستقيمة.... وهي رسالة نبينا العظيم وإسلامنا القويم، وشريعته السمحاء"<sup>٣</sup>.

وبناء على اقتراح جاء من مصياف، قرر مجلس الإدارة "السعي لزيادة عدد مقاعد [الـ] طلاب العلويين والدروز في الكلية الشرعية"<sup>٤</sup>. كما "بحث في معونة طالب علوي لاستكمال دراسته، وهو السيد.... فكلف الأستاذ الخطيب السعي لتأمين دراسته ومنامه وطعامه في بعض المدارس"<sup>٥</sup>.

<sup>١</sup> - سجل القرارات، مرجع سابق، الجلسة ٩ (١٠٢٢ / صفر ١٣٦٤م / ٥ كانون الثاني ١٩٤٥م)، الفقرة السابعة، ١٣٦.

<sup>٢</sup> - في الأصل: طيبة.

<sup>٣</sup> - حامد محمود ياسين، الجبل العلوي يتوق إلى التعليم الإسلامي، التمدن، السنة ١١، (ذو الحجة ١٣٦٤/ تشرين الثاني ١٩٤٥)، ٣٠٠.

<sup>٤</sup> - سجل المقررات، مرجع سابق، الجلسة ٦٦ (١٦ رمضان ١٣٦٢ / ١٥ أيلول ١٩٣٤م)، ١٢٩.

<sup>٥</sup> - المرجع نفسه، الجلسة ٦ (٢٦ ربيع الثاني ١٣٧٨هـ / ٩ تشرين الثاني ١٩٥٨م)، الفقرة ٣، ٢٢٣.



بل إن التواصل وإعادة الالتحام بلغت حداً مدهشاً، فقرر مجلس الإدارة: "التوسط بشأن الطلاب العلويين في الكلية الشرعية، وما يُطلب منهم من تقديم الكفالة، وإخراجهم من المدرسة، وتكليف الأستاذ الخطيب بذلك"<sup>١</sup>. ولما لم تجد الوسائط قرر المجلس: "مراجعة وزير العدل بشأن إخراج الطلاب العلويين من الكلية الشرعية، لعدم تقديم أوليائهم كفالة، رغم تسامح العمدة رسمياً بذلك عند انتسابهم، ومع الدروز تألفاً لهم وترغيباً لطلب العلم فيهم..."<sup>٢</sup>.

لقد كان عند رجال التمدن خوف حقيقي في أن ينجح الاحتلال في شق الطائفة العلوية عن الجسم الإسلامي الذي ينتسبون إليه، فبدلوا كل جهودهم لدعم إخوانهم، وفتح ما أمكن من الأبواب لهم، وقرروا "مقاومة التبشير في العلويين بتعزيز العلم والدين الإسلامي في البلدان والقرى، برعاية ذوي الوجاهة والمكانة هناك"<sup>٣</sup>. ومن بعض جهودهم كتاب "إلى محافظ العلويين للأخذ على أيدي المبشرين"<sup>٤</sup>.

أما التواصل الإسلامي البديع فنجدته في موقف المجاهد الكبير صالح العلي والذي رفض بإباء مكر البعثة البروتستانتية، فقررت إدارة التمدن التأزر معه و"إرسال كتاب شكر إلى الشيخ صالح العلي في العيون، على موقفه من البعثة التبشيرية اليسوعية، التي أهدته إنجيلاً، فرده وقدم لها مصحفاً"<sup>٥</sup>.

<sup>١</sup> - سجل المقررات، مرجع سابق، الجلسة ١٠١ (١٨ محرم ١٣٦٤هـ/ ١ كانون الثاني ١٩٤٥م)، فقرة ٣، ١٣٥.

<sup>٢</sup> - المرجع نفسه، الجلسة ١٠٢ (٢٥ محرم ١٣٦٤هـ/ ٨ كانون الثاني ١٩٤٥م) فقرة ١، ١٣٥.

<sup>٣</sup> - المرجع نفسه، الجلسة ٤ (١٣ شباط ١٣٥٨هـ/ ٣ نيسان ١٩٣٩م)، الفقرة ٤، ٨٩.

<sup>٤</sup> - المرجع نفسه، الجلسة ١٢، (٩ ربيع الآخر ١٣٥٧هـ/ ٨ حزيران ١٩٣٨م)، ٧٧.

<sup>٥</sup> - صالح العلي (١٨٨٣-١٩٥٠)، مجاهد كبير، وقائد وطني، ولد في قرية المريقيب التابعة لقضاء طرطوس، قاد الثورة على الفرنسيين في جبال العلويين مدة ثلاث سنوات، وأرهب قوات الاحتلال الفرنسي وانتصر عليها في عشرات المعارك، قبل محاصرة قواته في قرية الشيخ بدر، وإجباره على الاستسلام، وقد دفن إلى جانب المسجد الذي بناه. وانظر للاستزادة:

- جميل شاكر الخانجي، ثوار صنعوا الاستقلال، مرجع سابق، ٣٥٣-٣٦٠.

<sup>٦</sup> - سجل المقررات، مرجع سابق، الجلسة ١٢ (٩ ربيع الآخر ١٣٥٧هـ/ ٨ حزيران ١٩٣٨م)، ٧٧.

ولعل الكثيرين لا يعلمون أن الشيخ المجاهد صالح العلي [العلوي] قد توفي بين ذراعي أخيه<sup>١</sup> العالم السني الجليل الشيخ محمد المجذوب<sup>٢</sup> [رحمهما الله جميعاً].

#### رابعاً: العلاقة مع الإسماعيليين:

قالت مجلة التمدن: "زار دمشق للمرة الثانية السيد علي نجل سمو آغا خان ، فتفقد الإسماعيليين المرتبطين من الوجهة المذهبية بوالده، وتبرع بإنشاء مدارس، كما تبرع لبعض المؤسسات الخيرية، والله سبحانه يجزي المحسنين خير الجزاء"<sup>٣</sup>، "فقد قال فيما قاله أن بعض جماعته ابتعدوا عن التعاليم الإسلامية وأنه سيعمل على حملهم على اتباع تلك التعاليم .... وآغا خان اشتهر بأنه من آل بيت النبوة ، فهو إذن أولى الناس بالعودة إلى ماجاء به محمد بن عبد الله ﷺ ، وهو أولى الناس بأن يجعل اللغة العربية، التي هي لغة الإسلام الرسمية ، ولغة القرآن الكريم ، ولغة محمد ﷺ اللغة الرسمية لجماعته وآل بيته ، وهو أولى الناس بأن يدافع عما أعلن الإسلام تقديسه ..... [وإن] آغا خان حريص على التضامن الإسلامي وعلى إعادة الخلافة الإسلامية ، وهذا ما يحملني على أن أتوجه إلى سموه وإلى سمو نجله بأن يعمل لهذا التضامن .... وقد لمس المسلمون أن القطيعة لاتفيد الإسلام والمسلمين شيئاً .... أما الجهاد الأكبر فهو اتحاد مذهبي يعود المسلمون فيه إلى كتاب الله وإلى سنة نبيه ، ويتناسون الفرقة والتعصب الذميمة ، وينسون ما

<sup>١</sup> - سمعت هذه الرواية من العديد من الأشخاص من أهل الساحل، ثم وجدت مقالة للدكتور خالد الأحمد، يذكر فيها صراحة أنه سمع ذلك في المدينة المنورة من الشيخ المجذوب، والمقالة منشورة على الموقع التالي:

<http://www.asharqalarabi.org.uk/mushrakat/b-mushacat-207.htm>.

ولم يتسن لي الاتصال بحفيده العالم الفاضل الشيخ فداء المجذوب، ولعلي أستدرك ذلك قريباً.

<sup>٢</sup> - محمد المجذوب (١٩٠٧ - ١٩٩٩)، عالم وداعية وأديب وشاعر، ولد في طرطوس، وشارك في مقاومة الفرنسيين واعتقل واضطهد، وكان من وجوه الإسلاميين في الساحل السوري، وعمل في التربية والتعليم في سورية والسعودية، وله أكثر من خمسين مؤلفاً في الفكر والأدب والشعر. وانظر في ترجمته:

- إتمام الأعلام، نزار أبابطة-محمد رياض المالح، دمشق، دار الفكر، ط2، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ٤١١. ومقالة بعنوان: محمد المجذوب كما عرفته، بقلم: محمد نعسان عرواني. <http://www.odabasham.net/show.php?sid=894>.

<sup>٣</sup> - مجلة التمدن، مرجع سابق، مجلد ١٤ - ص٩٦. أيار ١٩٤٨م. ومحضر الجلسات، مرجع سابق، السنة ١٣٦٤هـ، الجلسة ٩ الفقرة الرابعة.

وقع في العصور الأولى من حروب ومشاحنات مذهبية لم يفد منها إلا أعداء الإسلام...<sup>١</sup> . وقد قررت إدارة التمدن: "زيارة سلطان البهرة، والبحث معه في الشؤون الإسلامية، وطلب مساعدته"<sup>٢</sup> . لقد كان توحيد الفرق الإسلامية، وإبعاد الروح الطائفية، وكف اليد الدخيلة هاجساً عند رجال التمدن، ومن أعمالهم: "إرسال كتاب إلى الأمير محمد ملحم، صهر الأمير سليمان العلي، تعزيزاً للدعوة التي أرسلها [إلى] الأخير منهما؛ آغا خان بوجوب تضامن الإسماعيليين مع إخوانهم المسلمين، ودعوته للعمل بذلك"<sup>٣</sup> .

### سادساً: العلاقة مع الدروز:

إن الحال في العلاقة مع الدروز مشاهمة لما كانت مع غيرهم من الطوائف التي تنتسب في النهاية إلى الإسلام، وقد دعت الجمعية "لسماع محاضرة يلقيها الصحفي الأديب السيد رفيق وهبة موضوعها: بنو معروف في أدوار التاريخ، في مدرج الكلية العلمية الوطنية... يوم السبت ٦ ربيع الأنور ١٣٦٤هـ/ ١٧ شباط ١٩٤٥م"<sup>٤</sup> . ويلاحظ أن هذه الأعمال كلها قد تمت قبل الجلاء، مما يبرز الحرص الشديد للجمعية على لم صفوف أبناء الأمة جميعاً. وقد أسلفنا كيف أن الجمعية توسطت للطلاب العلويين والدروز لقبولهم في الكلية الشرعية، وأنها راجعت وزير العدل من أجلهم "تألفاً لهم وترغيباً لطلب العلم فيهم..."<sup>٥</sup> . يلاحظ لم الشمل من خلال ما حصل إذ أنه "أثناء القصف الفرنسي لدمشق [أيار ١٩٤٥] هبت حوران وبنو معروف في جبل العرب لنجدة دمشق، ولكن قوات الحلفاء تدخلت، "وتم إخضاع القوة الافرنسية الباغية بقوة حليفة، وبودنا لو كانت قوة عربية، لكان ذلك.... أشفى للصدور"<sup>٦</sup> .

<sup>١</sup> - مجلة التمدن، مرجع سابق، السنة ١٤، ٩٧.

<sup>٢</sup> - سجل القرارات، مرجع سابق، الجلسة ٣، (٣ ربيع الأول ١٣٥٦هـ/ ١٢ أيار ١٩٣٧)، ٦٢.

<sup>٣</sup> - المرجع نفسه، الجلسة ٦١ (١٠ شعبان ١٣٦٢هـ/ ١١ آب ١٩٣٤م) الفقرة ٢، ١٢٨.

<sup>٤</sup> - بطاقة دعوة باسم الجمعية.

<sup>٥</sup> - سجل القرارات، مرجع سابق، الجلسة ١٠٢ (٢٥ محرم ١٣٦٤هـ/ ٨ كانون الثاني ١٩٤٥م) فقرة ١، ١٣٥.

<sup>٦</sup> - أخبار العالم الإسلامي، مجلة التمدن، ١١، (جمادى الثاني ١٣٦٤)، ٦، ٧٥.

مما لا يعرفه الكثيرون أيضاً أن أحد أهم رجال جمعية التمدن هو بقية الأمراء التنوحيين الذين تعرضوا للمذابح في لبنان، ولم ينج منهم إلا طفل صغير، صار حفيده من أهم العلماء وهو عز الدين التنوحي<sup>١</sup>: (١٨٨٩-١٩٦٦م) : الملقب علم الدين، والده محمد أمين شيخ السروجية الدمشقي، من كبار علماء اللغة والأدب، درس في مدرسة الفرير ببيافا، ثم في الأزهر خمس سنوات، وكان من أقرب أصدقائه الشيخ عز الدين القسام.

درس التنوحي الزراعة في فرنسا من عام ١٩١٠-١٩١٣م، وخدم في الجيش العثماني ثم فر إلى الجوف بالبصرة فعمل في جريدة (الأوقات الرسمية) وبعدها التحق بجيش الشريف فيصل ثم استقر بمصر، وعاد إلى سورية، ففلسطين فبغداد، ورجع إلى دمشق نهاية عام ١٩٣١، فانتخب أمين سر مجمع اللغة العربية وهو من مؤسسيه الأوائل، ونائب رئيسه لاحقاً، وعضواً مراسلاً للمجمع العراقي، وعمل أيضاً مديراً لمعارف السويداء فمفتشاً للمعارف بدمشق، ودرس في دار المعلمين ببغداد والشام، وفي جامعة دمشق، وهو أحد أهم رواد التعريب في مجال الفيزياء، وقد حقق مجموعة من نفائس التراث، وله كتب في الأدب، وترجم عن الفرنسية عدة كتب في الفيزياء والأدب.

### سابعاً: النظرة إلى اليهود:

مع أن هناك عداء تاريخياً بين المسلمين واليهود، ابتدأ منذ بداية الدعوة الإسلامية، إلا أن الإسلام يطلب الإنصاف بل البر من أتباعه، فيقول تعالى: (لَا يَنْهَاكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ)<sup>٢</sup>، وهذه الروح دعت جمعية التمدن إلى أن تكتب إلى علوبة باشا في القاهرة باقتراحات تراها الجمعية صالحة للقضية الفلسطينية، ومما جاء فيها: "نشر تصريحات أكابر اليهود في الأقطار العربية بأنهم يتبرؤون من الصهيونية ولا يناصرونها"<sup>٣</sup>. وهذا البيان يوضح تمييز الجمعية بين الصهيونية كحركة سرطانية عنصرية، واليهود كأتباع دين خصه الإسلام بالاحترام.

<sup>١</sup> - خير الدين الزركلي، الأعلام، بيروت، دار العلم للملايين، ط٤، ١٩٧٩، ٤٢٢٩، ٤.

<sup>٢</sup> - سورة الممتحنة، آية ٨.

<sup>٣</sup> - سجل القرارات، مرجع سابق، الجلسة ٢٢، (٥ رجب ١٣٥٧هـ/٢٦ حزيران ١٩٣٨)، الفقرة الرابعة، ٨١.

وبينما لم يتجاوز فكر الكثير من الإسلاميين موضوع الدندنة حول التحرير العسكري، فقد كان فكر التمدن أكثر عمقاً، حيث يلفت النظر في العدد الصادر في أول العام الرابع عشر بتاريخ شعبان ١٣٦٧هـ الموافق حزيران ١٩٤٨م كتاب مفتوح إلى اللجنة العربية العليا في فلسطين حول مشروع يمكن أن يساعد في إنقاذ فلسطين، : "وملخص هذا الرأي أن تستثمر فلسطين استثماراً جماعياً... كما تستثمر الشركات المساهمة... إن استثمار الفلاح العربي لأرضه منفرداً لا يتفق وروح الزمن الحاضر، وخاصة في فلسطين التي أصبحت فيها الصهيونية تدير مستعمراتها بطريقة مشتركة، إن الاستثمار المشترك يساعد على التقدم السريع والاستفادة من المخترعات الحديثة.

.. يقولون إن اليهود أغنياء وعلماء! وأنا أقول كلا! وإنما أصبحوا أغنياء باتحادهم! وأصبحوا علماء بمعرفتهم كيف يستفيدون من العلماء! فهل هناك مانع يمنع من أن نحذو حذوهم في استثمارهم المشترك! أيها العرب! أيها المسلمون في أطراف الأرض إذا كنتم تحبون فلسطين فحذووا عليها بالمال. فليس كالمال المنظم من منقذ لها مبدئياً".<sup>١</sup>

كما جاء في مقال آخر يتكلم بواقعية شديدة عما ينبغي القيام به في فلسطين: "وإني أحب أن ابتعد قليلاً عن آفاق الشعور العربي القائل: لنا الصدر دون العالمين أو القبر، فأريكم ميداناً من ميادين العمل فأحدثكم بالشعور المادي، والتنظيم الاقتصادي ... إنكم لو نظرتم إلى فلسطين باعتبارها تربة ومزرعة، وأنشأت الشركات التي تحب المال، تحب الربح، إذاً لاستملكتم أراضي فلسطين بشركات تعاونية أو مساهمة، تبتدرون أسهمها في جميع الأقطار العربية إن لم تحتاجوا ما وراءها من ديار النصر ... لقد كانت عواطفنا غالبية ومساعدنا هزيلة ... وإن ماصارت إليه قضيتنا في فلسطين هو ثمن هذا الموقف الهزيل، فاعرفوا قيمة الأعمال بنتائجها، ولا تؤخذوا بأوهام مخادعة ...".<sup>٢</sup>

<sup>١</sup> - محمود مهدي الاستانبولي، مجلة التمدن الإسلامي، مرجع سابق، السنة ١٢، جمادى الأولى ١٣٦٥هـ، ١٢٧.

<sup>٢</sup> - محمد بن كمال الخطيب، المرجع نفسه، كيف نقذ فلسطين، السنة ١٢، شعبان ١٣٦٥هـ، ٢٧٥-٢٧٧.

## خلاصة البحث:

أظهر البحث مايلي:

- للسياسة الدولية يد ملحوظة في إثارة واستثمار المشاعر الطائفية، بما يخدم مصالحها، من خلال التفرقة، وإثارة العداوات بين مختلف الطوائف.
- تواصل الطوائف مع بعضها وإدراكها لأحوال كل منها أحد مفاتيح التعامل الإيجابي فيما بينها.
- التراحم الطائفي أمر أعمق من التسامح الطائفي، وهو قائم على وقائع تاريخية ثابتة، ويجب إعادة إحيائه من جديد.
- النقاط غير المضيئة في العلاقات بين الطوائف ليست قدراً يتحتم البقاء في أسره.
- يقدم الإسلام بمعناه الواسع ساحة رحبة للالتقاء والتواصل.
- قدمت جمعية التمدن الإسلامي بدمشق ريادة فكرية وعملية في التعامل الطائفي، جدير بأن تعمم ويستفاد منها.
- لا يمكن للسياسة الدولية أن تحدث شروخاً طائفية أو تثير النعرات في ظل وعي وتراحم أصيل.

واختصر كل بحثي فيما قاله أحد كبار رجال جمعية التمدن الإسلامي ، وأحد أدمغة الاقتصاد السوري في الخمسينات، ومدير مصرف سورية المركزي، الدكتور عزة الطرابلسي رحمه الله: "من ( أنانية ) الإنسان الفرد أنه يجب احتكار الخلق الطيب والصفة الحسنة، فيسوؤه أن يراهما في غيره. أليس من أنانية (الإنسان المجموع) إذاً (كالأمم المستعمرة) أنها تحب أن تنفرد بالصفات الحسنة: بالحرية والاستقلال !

يقولون: "أن ليس للوطنية دين فقلت لهم : ألا يكفي أن تكون ديناً [رابطة] للجميع؟"<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> - عزة الطرابلسي، مجلة التمدن الإسلامي، مرجع سابق، السنة الأولى، العدد الرابع، ١٩٣٥ م.

## جريدة المراجع

- 1- ابن بطوطة، الطنجي، محمد بن عبد الله (٧٧٩هـ/١٣٧٧م)، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، القاهرة، المطبعة الأزهرية، ١٣٤٦هـ/١٩٢٨م.
- 2- أبو صالح، عبد القدوس، مذكرات الدكتور معروف الدواليبي، تحرير: محمد علي الهاشمي، الرياض، مكتبة العبيكان، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.
- 3- الأسطواني، محمد سعيد، مشاهد وأحداث دمشقية في منتصف القرن التاسع عشر، تحقيق: أسعد الأسطواني، دمشق، دار الجمهورية، ١٩٩٤م.
- 4- بدران، عبد القادر، منادمة الأطلال ومسامرة الخيال، بيروت، دار ابن عابدين، ط ٢، ١٩٨٦/١٤٠٦.
- 5- بريك الدمشقي، ميخائيل، تاريخ الشام (١٧٢٠-١٧٨٢)، تحقيق وتقديم أحمد غسان سبانو، سلسلة دراسات ووثائق تاريخ دمشق الشام (٣)، دمشق، دار قتيبة، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.
- 6- آل جندي، تاريخ الثورات السورية في عهد الانتداب الفرنسي، دمشق، مطبعة الاتحاد، ١٩٦٠م.
- 7- الحكيم، حسن، صفحة من حياة الشهبندر، دم، مطابع الجمعية العلمية الملكية، ١٩٨٠م.
- 8- الحصري، ساطع (أبو خلدون)، يوم ميسلون (صفحة من تاريخ العرب الحديث)، بيروت، مكتبة الكشف، ط ٢، ١٩٤٨م.
- 9- الخانجي، جميل شاكر (١٨٩٨-١٩٧٦)، ثوار صنعوا الاستقلال (صفحات مضيئة من تاريخ الثورة السورية)، إعداد وتحرير: نشأت جميل الخانجي، دمشق، دار الشرق، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.
- 10- الخوري، فارس، أوراق فارس الخوري، بعناية كوليت خوري، دمشق، دار طلاس، ط ٢، ٢٠٠١م، المجلد الأول/٢.
- 11- زرزوز، محمد عدنان، مصطفى السباعي (الداعية المجاهد والفقير المجدد)، دمشق، دار القلم، ط 2، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
- 12- الشريف، منير، المسلمون العلويون، من هم؟ وأين هم؟ وقد طبعته المطبعة العمومية بدمشق طبعة ثانية عام ١٩٦٠م.

- ١٣- الصواف، محمد شريف، موسوعة الأسر الدمشقية، دمشق، بيت الحكمة، ط ٢، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م، المجلد الأول/٣.
- ١٤- العبد، حسن آغا، حوادث بلاد الشام والإمبراطورية العثمانية، تحقيق يوسف جميل نعيسة، دار دمشق، ١٩٨٦.
- ١٥- العظمة، عبد العزيز، مرآة الشام (تاريخ الشام وأهلها)، تحقيق: نجدة فتحي صفوة، دمشق، دار الفكر، ط ٢، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.
- ١٦- عياش، عبد القادر، معجم المؤلفين السوريين في القرن العشرين، دمشق، دار الفكر، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥.
- ١٧- القرضاوي، يوسف، فقه الجهاد، القاهرة، مكتبة وهبة، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، ط ٢.
- ١٨- نعيسة، يوسف جميل، مجتمع مدينة دمشق، (١١٨٦-١٢٥٦هـ/١١٧٢-١٨٤٠م)، دمشق، دار طلاس، ط ٢، ١٩٩٤.
- ١٩- كوثراني، وجيه، بلاد الشام في مطلع القرن العشرين (قراءة في الوثائق)، معهد الإنماء العربي، طرابلس الغرب، ١٩٨٠.
- ٢٠- كيالي، نزار، دراسة في تاريخ سورية السياسي المعاصر (١٩٢٠-١٩٥٠)، دمشق، دار طلاس، ١٩٩٧. - وجيه الكوثراني، بلاد الشام في مطلع القرن العشرين (قراءة في الوثائق)، معهد الإنماء العربي، طرابلس الغرب، ١٩٨٠.
- ٢١- المالح، محمد رياض، عالم الأمة وزاهد العصر: العلامة المحدث الأكبر بدر الدين الحسيني، دمشق، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.
- ٢٢- المالح، محمد رياض - نزار أباظة، إتمام الأعلام، دمشق، دار الفكر، ط ٢، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
- ٢٣- الموصلي، منذر، البحث عن الحقيقة (المرشدية وسليمان المرشد)، دمشق، دار المروة، ط ٢، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.
- ٢٤- اليافي، عبد الكريم، الدين والإحياء الروحي في الوطن العربي اليوم، دمشق، منشورات وزارة الثقافة، ٢٠٠٤.

25- ashreb-achrek, N 198-Hiver,Paris, 2008-2009.

26- <http://www.asharqalarabi.org.uk/mushrakat/b-mushacat-207.htm>.



- 27- [http://www.bbc.co.uk/arabic/middleeast/2010/04/100411\\_sudan\\_elex\\_carter\\_tc2.shtml](http://www.bbc.co.uk/arabic/middleeast/2010/04/100411_sudan_elex_carter_tc2.shtml)
- 28- [http://www.islamonline.net/servlet/Satellite?c=ArticleA\\_C&cid=1173695208143&pagename=Zone-Arabic-Daawa%2FDWALayout](http://www.islamonline.net/servlet/Satellite?c=ArticleA_C&cid=1173695208143&pagename=Zone-Arabic-Daawa%2FDWALayout)
- 29- <http://www.aawsat.com/details.asp?issueno=9706&article=307826>
- 30- <http://darbuna.net>
- 31- <http://www.odabasham.net/show.php?sid=894>.
- 32- <http://www.islamwijzer.nl/forums/vbnews.php?do=viewarticle&artid=94&title=Open%20brief%20aan%20Wilders>.
- 33- <http://www.ahlalhdeth.com/vb/archive/index.php/t-140814.html>.
- 34- <http://www.marefa.org>

٣٥- مجلة التمدن الإسلامي، جمعية التمدن الإسلامي، دمشق (١٩٣٥-١٩٨٢) أعداد مختلفة

٣٦- جريدة بردى اليومية، جورج فارس ومنير الريس، السنة ٢، العدد ٣٠١، ٢٤ شعبان ١٣٦٦هـ/ ١٣ تموز ١٩٤٧م.

٣٧- سجل القرارات لجمعية التمدن الإسلامي، (١٩٦١-١٩٣٢).

٣٨- سجل مستوصف جمعية التمدن الإسلامي (١٩٥٩-١٩٦٠).

٣٩- نظام جمعية التمدن الإسلامي، شهر برقم ٤٩٠ وتاريخ ٨ حزيران ١٩٦٠.

ملحق رقم ( ١ ) مقتطفات من مقال بعنوان : الذين يتوبون ويذكرون

حول العلاقة مع الشيعة وملف إيران النووي (كتبه: أحمد معاذ الخطيب الحسيني ، بتاريخ ٢ تشرين الثاني ٢٠٠٧م)

يمكن الاطلاع على المقال الأصلي في الموقع التالي: <http://www.darbuna.net/word/?ID=780>

ليس الاعتراف بالخطأ سهلاً كما قد يتصور البعض، بل هو عملية جذرية في التفكير والتصورات والمبادئ والأصول الشرعية وتقدير المصالح، والموازنة بين الهدف القريب والبعيد.

لنأخذ مثلاً عن ذلك ملف إيران النووي، والحشد الغربي الدولي ضدها. لقد عانى المسلمون تاريخياً من شرخ حاد بسبب الخلاف المذهبي بين السنة والشيعة، ولكنني أزعم أن الاحتقان الموجود الآن لم يسبق قط ، وكان الصراع يعمل على المحور السياسي ثم العلمي والفقهي، وقد تتفاقم الأمور فتتسرب إلى العامة فتحصل اشتباكات واعتداءات لا تلبث أن تنطفئ ويعود الناس إلى حياة طبيعية فطرية، ويتجاوزون ويتزوجون من بعضهم ويتبايعون رغم كل الخلافات، لأن الحامل الشرعي الفطري ثم الاجتماعي الذي يضمهم يبقى مهما حصل أكثر زخماً من التفعيل السياسي أو السجال العلمي أو التناوش والصدام العملي، الذي قد يحصل في أماكن تبقى محدودة ولا تنتقل لتصبح فتنة عارمة.

لماذا لم ينتبه أحد إلى أن إذكاء الفتنة الطائفية يتجه إلى مستويات مخيفة بسبب الحقن من كل الأطراف، ولماذا لم ننتبه إلى أن الأسباب التي نختلف عليها كانت موجودة ولكن ساحتها لم تكن أبداً بالاتساع والحجم الذي تحتله اليوم! بل إن مافي بطون الكتب من الصراعات المذهبية شيء مذهل حقيقة، ولكنه بقي في الكتب وقد يطل برأسه في صراعات محدودة ولكنها لا تغير لون كافة المجتمعات.

الموجود اليوم هو تجيش سياسي مآكر، وليس فقط عداءً عقدياً أو مذهبياً فالعقيدة والمذهب والطائفة موجودة كلها سابقاً ولم تؤد إلى مآخذ فيه.

ابحث عن النخر الداخلي الذي جعل الدول الكبرى قادرة على ضخ الفتنة في مجتمعاتنا، وابحث عن السبب في أن التهيئة لعمل عسكري ضد إيران صار الحديث عنه عادياً، وقد يحصل، ولكن الأخطر هو

موقف الدول الإسلامية المتخاذل، وأكثر منه خطراً الموقف النفسي للحركات الإسلامية! والتي قد تعطي انطباعاً للساحة الشعبية بعدم أهمية الأمر وأنه لا يخلصنا!

إن الحسرة السنية بسبب الغزو الشيعي المدعوم من الدولة الإيرانية ليس سبباً كافياً للصمت حيال احتمال الاعتداء على إيران، ولنفترض أننا نختلف عن الشيعة في العقيدة خمسين بالمائة وفي الفقه عشرين بالمائة (بمجرد افتراض) فإن اختلافنا مع الغرب الحاقد في العقيدة تسعين بالمائة...

إن امتلاك إيران للقوة النووية لا يؤدي أي سني لكنه رادع مرعب للقوى المتكالبة على العالم الإسلامي، والعدوان على إيران زيادة في الهيمنة على المنطقة والتكالب على ثرواتها وتعميق لغزو ثقافي واجتماعي يزداد تجذراً في العالم الإسلامي.

بصراحة من المنطقي والشرعي أن نرفض أي مس بإيران ونعتبر ذلك عدواناً على الأمة المسلمة كلها.

هذا الرفض إنما هو للعدوان، ولكن هناك مسألة أخطر قد لا ننتبه لها، وهي أن السلاح النووي كله إنما هو لعنة على البشرية، وأعتقد من الناحية الشرعية أنه لا يدخل فيما أمرنا بإعداده من القوة، فإن التوحش وإفناء البشر ليس من مقاصد الشريعة بل من مصادماتها. وما امتلكته الدول الإسلامية حتى الآن من سلاح وعتاد وجيوش لم يُجد نقيراً ولا قطميراً في وجه الغزاة، ويظهر أن أغلب الأنظمة العربية والإسلامية لم تكن صادقة يوماً في صدها للغزاة والمحتلين وإنما كانت خنجراً في ظهر شعوبها ومتاجرة بالشعارات وهي تنظر بدم بارد إلى الشعوب تذبح بين أيدي المحتلين، ومن يقاوم الاحتلال دائماً هم أبناء الأمة الضعفاء والمهمشين والمصادرين، وخصوصاً الإسلاميين الذين لا يستطيعون بيع مبادئهم وتبقى بلادهم وأهلهم عزيزين عليهم فيفقدونهم بأرواحهم وهم الذين لم يلقوا منهم إلا الأذى والمشاقق والسجون والتنكيل.

ومسألة أخرى: إن من الخطأ الجسيم للأمة المسلمة أن تحاول مجازاة عدوها فيما هو من خصائصه من الهمجية والتوحش، بل عليها تعميق خصائصها الإنسانية وتفعيل دورها الحضاري كرائد في عالم القوى اليوم.

يجب أن ندرك أن مازلنا نملكه من خصائص لا يزال يشكل فتنة وسحراً لعالم اليوم وللمجتمعات البشرية التي يزيد تحبط أنظمتها، وأن ما نحن فيه من عطالة، وما يسيطر على بلاد المسلمين من غرق في التاريخ وخضوع للأنظمة المتخلفة السياسية والدينية ومفرزاتها الاجتماعية هو أكبر الصادات وعوامل الشلل التي تمنع الأمة من الانطلاق.

يجب أن نعطي اللحظة الحاضرة حقها فنرفض العدوان على أي بلد مسلم، بل أي بلد مظلوم، ويجب أن نعطي المستقبل حقه فلا نجري في المنظومات التي تستهلكنا ولا نظن أن امتلاك السلاح النووي هو مفتاح القوة ... هذه الدولة الباغية (إسرائيل) يقال أنها تمتلك أكثر من مائة قنبلة ذرية! ولكنها لا تستطيع أن تستخدمها عندما يكون السلاح هو الحجر! والجنود هم الناس ... هي فقط تستطيع ردع الأنظمة!

يكفي أن ينظر البشر إلى ما استهلكته الحروب المعاصرة من الأموال وأفنته من البشر وحملته من الرعب والدمار والفتن ليعلم أن تكديس السلاح من أعظم الذنوب، وكلما غرقت الأمة في الجهل أنفقت على السلاح، ونست التعليم والصحة والمعرفة والبحث والتطوير، والاستقرار النفسي والاجتماعي، ولا ينبعث مثل بلاد العرب المتخلفة عن أمثال ذلك المصير.

## الفهرس

<u>الموضوع</u>	<u>الصفحة</u>
مقدمة	١
إهداء	٣
تمهيد	٤
مقدمات البحث	٥
تعريف بجمعية التمدن الإسلامي	٧
المبحث الأول: السياسة الدولية تمد أصابعها إلى كل مكان	٩
المبحث الثاني: الظلم الذي طحن الجميع	١٦
المبحث الثالث: التراحم الطائفي والريادة الإسلامية فيه	١٨
المبحث الرابع: فكر محلق فوق الطائفية	٢٣
(العلاقة مع المسيحيين، الشيعة، العلويين، الإسماعيليين، الدروز، اليهود).	
خلاصة البحث	٣٨
جريدة المراجع	٣٩
الملحق رقم (١) عن العلاقة مع الشيعة وملف إيران النووي	٤٢
الفهرس	٤٥



## الفهرس

<u>الموضوع</u>	<u>الصفحة</u>
تمهيد	١
مقدمات البحث	٢
تعريف بجمعية التمدن الإسلامي	٤
المبحث الأول: السياسة الدولية تمد أصابعها إلى كل مكان	٥
المبحث الثاني: الظلم الذي طحن الجميع	١١
المبحث الثالث: التراحم الطائفي والريادة الإسلامية فيه	١٣
المبحث الرابع: فكر مخلق فوق الطائفية	١٧
(العلاقة مع المسيحيين، الشيعة، العلويين، الإسماعيليين، الدروز، اليهود).	
خلاصة البحث	٢٨
جريدة المراجع	٢٩
الملحق رقم (١) عن العلاقة مع الشيعة وملف إيران النووي	٣٠

الوثائق (١-٢-٣). ٣٤

الفهرس ٣٧